

السيد فرج

شوقي والمنبج  
نظرات في الجندية والحرب

القاهرة  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

## قديم

### ثروت عكاشة

وزير الثقافة والإرشاد القومي

إنني مؤمن بأن أى إنتاج مطبوع هو ثروة جديدة فى حصيلتنا الفكرية تؤكد طاقاتنا وتدفعنا إلى التقدم .

فإذا كان هذا الإنتاج عملاً إيجابياً قائماً على الدراسة والبحث والتعمق فبما توارثناه من إنتاج زاد ماله من أهمية فى حياتنا الثقافية .

وقد تصفحت هذا الكتاب الذى أنتجه الصديق الأستاذ السيد فرج عن شوقى والمتنبى وما كان لهما من نظرات فى الجندية والحرب .

وعجب المؤلف من أن تكون للشاعرين الكبيرين هذه النظرات فى الجندية والحرب ، وكنت أنا أعجب لو لم تكن لهما هذه النظرات .

فالأدب والشعر بصفة خاصة انمكس ناطق لروح الجماعة فى كل عصر من عصور الإنتاج ، ولهذا لا يستطيع الأدب أو الشعر أو الفن

بصفة عامة أن يكون بمعزل عن روح الجماعة لأنه الصورة الحية النابضة لانفعالاتها .

وقد عبّر شوقي وعبّر النبي عن روح العصر الذي عاش فيه كل منهما ، وقد كان المجتمع الذي عاشا فيه مليئاً بما يدفع إلى الجندية والحرب .

ولكنها دائماً حرب دفاع وكبرياء ومقاومة للتقدير الآثم على كيان الجماعة ومصيرها .

\* \* \*

إننا ندعو للجندية لتقوية عناصر أمتنا .

ولا نفكر في الحرب إلا لدعم قواعد السلام .

والله الموفق إلى ما فيه الصواب مآ

## فكرة الكتاب

شوقي ، أمير الشعراء ، الذي كانت له في الجندية والحرب نظرات لا يوفق لمثلها غير قائد موفور الحكمة والتجربة ، وقد سجلها في ثمانى قصائد ذات سبعمائة وأربعة وسبعين بيتاً وروايتين تمثيليتين خالدين : قبيز ، ومصراع كليوباتره . فضلاً عن أبيات عديدة متفرقة رائعة المبنى والمعنى .

• • •

والمتنبى الشاعر الجندى الذى « ملأ الدنيا وشغل الناس » وقال فى الحرب ثمانى عشرة قصيدة تحتوى على سبعمائة وسبعين بيتاً من جيد الشعر ونادره . .

• • •

لقد أعدت النظر فى آثار الشعراء العربيين الكبار بمنظار الظروف الحاضرة التى نعيش فيها مع ركب القومية العربية الزاحف لاستكمال الوحدة والحرية والعزة ، فوجدت أن كلاً منهما قد ترك رصيماً ضحماً من الأفكار والآراء التى تنبه الحمية القومية وتدعو للجهد وتنظم الدفاع عن الوطن . . إلى ملاحظات ونظرات فى آداب الجندية ومبادئ الحرب لا يفتن إليها إلا القائد الرشيد الذى عركته حياة الجندية وأدبه طول القتال .

• • •

إن هذا القريض الذى يأخذ بمجامع النفوس لا ينفرد بجماله وجلاله فحسب ، ولكنه يشكل خطوطاً عريضة تكفل سلامة الوطن ووحدة الأمة العربية ، وإنشاء جيش وطنى قوى وقيادة منزهة ، وآداب وتقاليده تهدف فى مجموعها إلى استكمال الوحدة والقوة وتدعيم صروح الرخاء والسلام .



(١)

## شوقي



١٨٦٨ - ١٩٣٢ م

الحرب في حق لديك شريعة  
والحرب من شرف الشعوب فإن بغوا  
ومن السموم الناقيات دواء  
فالحجد مما يدعون براء  
والحرب يبعثها القوى تجبراً  
وينوء تحت بلائها الضعفاء



## أحمد شوقي

ولد بالقاهرة سنة ١٨٦٨ من أسرة عربية تحظى برعاية الأسرة الحاكمة وقد ترجم لنفسه فقال :

« إني عربي ، تركي ، يوناني ، جركسي . أصول أربعة ، في فروع  
مجتمعة ، تكفله لها مصر ، كما كفلت أبويه من قبل . وما زال لمصر الكنف  
المأمول ، والنائل الجزل . على أنها بلادى وهى منشئ ومهادى ومقبرة  
أجدادى ، ولد لى بها أبوان ولى فى ثراها أب وجدان ، وبيعض هذا تحبب  
إلى الرجال الأوطان » .

وقد تلقى علومه فى مكتب الشيخ صالح بحى السيدة زينب ، ثم مدرسة  
المبتديان الابتدائية ، فالمدرسة التجهيزية حتى إذا أتم دراسته الثانوية دخل  
مدرسة الحقوق وقضى بها سنتين ، ثم انضم إلى قسم الترجمة ونال بعد  
سنتين إجازة الترجمة .

وكان يقول الشعر أيام الطلب ، ونظراً لصلته بالقصر أرسل فى بعثة  
إلى فرنسا لإتمام دراسته فى الحقوق والآداب بجامعة مونبليه وباريس .  
وقد أهله هذه البعثة لزيارة دول أوروبا ، فلما عاد إلى مصر ألحق بحاشية

الخديو ، وكان يمثل مصر في المؤتمرات الأدبية والثقافية ، ثم صار شاعر الخديو عباس ، وأنيس مجلسه ورفيق رحلته ؛

ولما عزل الخديو شرد الانجليز أصدقاءه ، وكان نصيب شوقي الإبعاد عن مصر ، فأقام في الأندلس حيث انقطع للدراسة والفسحة والتجول والشعر ، حتى إذا عاد إلى أرض الوطن سنة ١٩٢٠ كان الشاعر المجلي والأدب الخصب .

وقد برع شوقي في مجالات الشعر القديمة والحديثة ، وسائر أحداث زمانه ، فكان بحق شاعر الأمة العربية التي أجلسته على أريكة الشعر أميراً للشعراء في احتفال باهر سنة ١٩٢٧ .

ولشوقي ديوان شعر اختار له اسم الشوقيات في أربعة أجزاء ، تضمنت فرائد النظم وعيون الشعر في شتى الفنون وكافة المناسبات . وله ديوان نثر هو « أسواق الذهب » ؛ قال فيها : « هي كلمات اشتملت على معان شتى الصور وأغراض مختلفة الخبر جليلة الخطر منها ما طال عليه القدم وشاب عن تناوله القلم ، وألم به الغفل من الكتاب والعلم ، ومنها ما كثر على الألسنة في هذه الأيام وأصبح يعرض في طريق الأقلام ، وتجري به الألفاظ في أعنة الكلام من مثل : الحرية والوطن والأمة والدمستور والإنسانية وكثير غير ذلك من شئون المجتمع وأحواله وصفات الإنسان وأفعاله . . »

وله أيضاً أرجوزة ضمنها كتاب : « دول العرب وعظماء الإسلام » ولم تقف شاعرية شوقي عند هذه الحدود المعروفة ؛ وإنما جاء بالجديد

في القصص المسرحية التي نظمها وهي مصرع كليوباترة ، مجنون ليلي ،  
على بك الكبير ، عنزة ، الست هدى ، أميرة الأندلس ، شيطان بنتاءور ،  
وقد حظى شوقي بتكريم عظيم في حياته ، فكان مدوى الاسم ، ذائع  
الشهرة جليل المقام ، يحظى بالتقدير الاجتماعي والاحترام العام ، تتسابق  
الصحف إلى أخباره ، وتتنافس في تسجيل قصائده ، ولم تقف شهرته عند  
حدود وطنه ؛ بل كان معروفاً في الأوساط الأدبية والدبلوماسية في كافة بلاد  
العالم ، وكان وطنه الوطن العربي بأجمعه ، وكان هو شاعر الأمة العربية بحق ،  
ولسانها المعبر ، وصوتها المسموع .

وقد فارق شوقي دنيا الناس في شهر سبتمبر ١٩٣٢ ولكنه بقي حياً بأثاره ،  
وهو ما تنبأ به عندما قال :

ما مات من حاز الثرى آثاره واستولت الدنيا على آدابه  
وسيبقى شوقي حياً ما بقيت أشعاره تتردد . كتب شعره للخلود ،  
شعره كتب له الخلود :

شعر من النسق الأعلى يؤيده من جانب الله إلهام وإيحاء  
من كل بيت كآى الله تسكنه حقيقة من خيال الشعر غراء  
وكل معنى كعيسى في تغرده جاءت به من بنات الشعر عذراء  
أو قصة ككتاب الدهر جامعة كلاهما فيه إضحاك وإبكاء

## شوقى . . والجنديّة والحرب

أكاد أحس دهشة القارىء من عنوان الكتاب ، وأشعر بحيرته ،  
وربما إنكاره لرأس الموضوع . .  
شوقى ، والجنديّة والحرب !  
ما لشوقى وهذا ؟

لأنهم يعرفون شوقى جيداً ، صحبه ومريدوه ومعاصروه الذين رأوه  
رأى العين ، واستمعوا له وقرأوا شعره ، وقدروه قدره ، وعايينوه تماماً . .  
شكلاً وموضوعاً !

ولأنهم يعرفون شوقى ، الملايين من الأدباء وطلاب الأدب والثقافة الذين  
عاصروه أو جاءوا بعده ، فاجتذبهم بجياد نظمهم وعذب لفظهم ودقة مرماهم  
وسلامة قولهم ، ولأنهم ليتمايلون وراء قصيدته مسحورين بما أنشأه للناطقين  
بالضاد من روائع شتى فى كافة فنون الشعر ، من وصف وحكمة ووطنية إلى  
مديح وتهنئة ورثاء وغزل . . .

هنا وجه العجب .

أوهنا دليل العبقرية .

\*\*\*

تهادت إلى شوقي إمارة الشعر العربي في العصر الحديث ، فقد كان اللسان المعبر والصوت المسموع . وثب إلى كل فن ، وحلق في سماء العربية فرصها بالنجوم الزاهرة ، وغاص في أعماقها ، فكانت له الدرر اليتيمة ، ودلف إلى كل مرتع من مراتع القريض فكان له النصيب الأوفى والقدح المعلى ؛ وقد نظم الشعراء وكتب الكتاب واجتهد النقاد فتناولوا شعر شوقي في حياته وبعد مماته ، وبرزوا في الكشف عن مواهبه الباهرة وفنونه المتنوعة . وقصارى ما قيل ، وما يقال عن شوقي إنه أمير شعراء زمانه ، وأنه أحد عمالقة الشعر العربي الخالدين في جميع الأزمان .

وقد بايعته الأمة العربية أميراً للشعراء ، ورفعته إنتاجه الأدبي إلى مرتبة الصدارة ، فهو أحد ثلاثة أو أربعة هم فرسان الشعر العربي في التاريخ كله . غير أن الذى لفت نظرى واستحوذ على تفكيرى أكثر من غيره ، هو إني التقيت بشوقي في ساحة صعبة المراس عصية على أمثاله ، فلم أتوقع أن ألاقه فيها هكذا مبرزاً ومهولاً ، بل منفرداً بلوأها قابضاً على ناصيتها . تلك هى ناحية الجنديّة والحرب .

لقد دخل الشاعر الرقيق ، النحيل الخجول ، الأرسقراطى المتنعم إلى ساحة المعركة : ولم تكن زورة مصادفة ، ولا مروراً عابراً ؛ بل دخولا في الحرب ، ومرابطة في خط النار ، واشتراكا في وضع الخطط واجتهادا في

الرأى فى التنظيم والتدريب والاستعداد ، ونفيراً مدوياً لبنى قومه أن الجيش هو سناد الأمة ، وأنه لاغنى للبلاد عن جيش يحمى حماها ويؤمن ركب زحفها إلى الحياة والحرية والكرامة .

إن « شوقى » الذى كانت غاية غاياته أن يعيش فى سلام مع نفسه ومع الناس ، والذى كان ينأى عن المكان المزدهم وينصرف عن المجادلة العنيفة ويظل قائماً حائر الفكر . . شوقى الذى لا يمكن أن يشهد قتالاً ولا أن يقرب فى كفه سلاحاً . . رأيت من خلال شعره قائداً رهيباً ينقض على خصمه فى قسوة ويضرب بفظاعة ، ومفكراً عسكرياً حصيفاً يضع تقاليد الجنديّة ويرسم حدود المعركة ، وناقداً حربياً ثقة ، يصف المشاهد الرهيبة وأسلحة القتال ؛ ويشير إلى مواطن النقص ومواضع الضعف ، وجندياً كبيراً يرسم لبلاده الخطة المثلى فى التنظيم والتدريب والاستعداد ورفع الروح المعنوية وتوحيد الجيش والأمة فى كتلة قوية صلبة .

وقد استطاع شوقى أن يدلف إلى أدق الأسرار العسكرية ، ويغوص فى أعماق الفن الحربى ، فيحدثنا عن ذات مبادئ الحرب التى بدونها لا يظفر بالنصر ، ويحيطنا علماً بالأسلحة الخافية كالجاسوسية والطابور الخامس ، قبل أن يحدثنا عنها الجنرال فرنكو بربع قرن من الزمان ، ويكشف عن المواقع والعقبات التى تعترض تقدم الجيوش والمشكلات التى تنشأ داخل المعسكر فتفل العزم وتقوض الصرح

• • •

هذه ناحية من نواحي الإعجاز في شعر شوقي .  
وهي دلالة في مقدمة ما يستدل به على عبقرية شوقي .  
ولست أعرف شاعراً قبله ولا بعده خاض هذا المعترك الشاق المستعصم  
وخرج منها بهذا الحظ العظيم من الإدراك والفطنة والتوفيق غير  
أبي الطيب المتنبي .

## الامة بجيشها

لقد فطن شوقي إلى أن العالم يتطور في ظل القوة العسكرية ، وأنه لا مندوحة للأمة عن جيش قوى تدود به عن حماها ، وتحفظ به أمنها وكرامتها ، ولو قدر أن يجتمع للبلاد كل أسباب الغنى والنعيم وتتوافر لها جميع عوامل الرخاء والرغد . ولكنها بغير جيش تصبح حتى مباحا وغابا بغير أسد . إنه يعان هذه الحقيقة في سهولة ويسر ، ويدخلها إلى عقلك ونفسك بأسلوب رائع وطريقة ممتعة .

لقد جاء أحد جواسيس الفرس ، من مصر بمعلومات لها قيمتها ؛ قال :

وجدت وجوهاً عليها النعيم	ودنيا على جانبها الرغد
وسوقاً تفض وسوقاً تقام	ونخلاً يروح ونخلاً يفد
وشعباً على خطة في الحياة	ونظم به في الشعوب انفراد
ولم أر مثل صناعاتهم	سمواً وبعداً على المنتقد
ولا مثل أخلاقهم مبلغاً	من الفضل أو من خلال الرشد

.. فهل هذا كله يكفى ، وهل هي أمة ذات حظ عظيم ؟

لقد فرغ المتحدث من إلقاء تقريره ، ولكن صاحبه لم يجده وافياً .

إن المعلومات ما زالت ناقصة ، « والشئ المهم » لم يأت ذكره ،

فراح يسأل :

ولكن زفيروس كيف الجنود ؟ وكيف الحديد ؟ وكيف الزرد ؟  
 وهل كنت تلقاهم في الطريق وتنظر أظفارهم واللبس !  
 فيجيب الجاسوس بالحقيقة المرة ، أو قل يبيء بالسر الخطير :  
 أخي ما رأيت بمصر الجنود ولم يأخذ العين منهم أحد  
 سوى فتية من جنود القصور وضباطها في الثياب الجدد  
 يروحون في الخوذ اللامعات ويغدون في الذهب المتقد !  
 وهنا . . . يشب شوقى إلى الهدف ، ويعلمها عالية مدوية . . .

إذن هو ملك بلا حائط رقيق الأواسى ضعيف العمد  
 خلا الوكر من صرخات العقاب ونامت عن الغاب عين الأسد  
 طواويس في عرصات القصور تروق لها ويلها من شهد  
 ولا يعجبك سلم يرف ونخير يفيض ومال لبد  
 وآثار فن تروع العقول وأجساد موتى تعيش الأبد  
 فما أنت راء سوى جنة هي الخلد أو طيفه في الخلد  
 . . . وإذن فليس ينفع هذا البلد ما يحظى من نعيم وغنى ؛ لأن الوكر خلا  
 من العقاب والغاب من الأسد ، فالأمة بجيشها ، وإلا فماذا يمنع النازلة إذا  
 أقبلت والعاصفة إذا هبت . . .

يهب عليها غداً عاصف من القوس أنى تمشى حصد  
 وهذا المعنى يظل يلح على خاطر شوقى فيصدر عنه في أكثر من مناسبة  
 ويدفعه إلى تنبيه قومه كلما واتته فرصة أو سنحت بادرة ، فيقول :  
 وما المالك إلا الجيش شأنًا ومظهرًا ولا الجيش إلا ربه حسين ينسب

ويقول :

وما نيل المطالب بالتمنى  
وما استعصى على قوم منال  
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا  
إذا الإقدام كان لهم ركابا

“ “ “

ولكن على الجيش تقوى البلاد  
وبالعلم تشتد أركانها

“ “ “

ومن كان منسوباً إلى دولة القنا  
ومن شرف الأوطان ألا يفوتها  
فليس إلى شيء سوى العز ينسب  
حسام معزاً أو يراع مهذب

“ “ “

يا معشر الإسلام في أسطولكم  
سبل الممالك جارف من شدة  
عزّ لكم ووقاية وسلام  
وقوى ، وأنتم في الطريق نيام  
حب السيادة من شمائل دينكم  
لو تقرءون صغاركم تاريخه  
والجدّ روح فيه والإقدام  
عرف البنون المجد كيف يرام

“ “ “

فقل لبان بقول ركن مملكة  
لا تلتمس غلبا للحق في أمم  
على الكتائب يبنى الملك لا الكتب  
لا خير في منبر حتى يكون له  
الحق عندهم معنى من الغلب  
وما السلاح لقوم كل علمتهم  
عود من السمر أو عود من القضب  
حتى يكونوا من الأخلاق في أهب

## الحرب . . والسلام

الحرب حقيقة ملازمة وظاهرة من ظاهرات الحياة ، لا سبيل إلى دفعها ولا مفر من الاستعداد لها . إن الجميع ينفرون من الحرب ويشتمون سلماً يعيش الناس تحت رايته في حرية ونعيم ورخاء . . ولكن ما السبيل إلى توقي الشر إذا ذرت قروونه ودفع العدوان إذا أقبل بجيئه ورجله ! وما ضمان الحرية والسلام في عالم اليوم ، وكيف تصان المبادئ والنظم والمعتقدات ؟  
فلنستمع لرأى شوقي :

الحرب في حق لديك شريعة ومن السموم الناقعات دواء  
والحرب من شرف الشعوب فإن بغوا فالجند مما يدعون براء  
والحرب يعيها القوي تجبراً وينوء تحت بلائها الضعفاء  
هذه هي الحرب . . إما عدوان وإما دفع عدوان ، وإنها تجبر القوي  
الباغي أو إنها ذريعة صاحب الحق .

وإذن فلا حرب — عند شوقي — غاية ولها حدود ، الغاية هي نصره الحق ،  
والحدود هي صيانة الحمى ، أما التعدي والطغيان ، وأما السلب والنهب ،  
وأما التدمير والفظائع بعد المعركة . . فخارج الحدود .

فشوقي يهتف للحرب ضد الضلال والجهالة ، ويحتفل بالحرب لحماية الوطن  
مما يدبره الخصوم ، بل ينفخ في البوق حين يشعر بتجمع السحب ، ويدعو

لليقظة والاستعداد والمبادرة . . . حتى إذا انكشفت الغمة وطاشت الضربة  
وسلم الحمى ، فهو لا يقول بالانتقام ولا البطش : ولكن بالهدنة وحقن الدماء .  
وبهذا تصبح الحرب ذات حدود وغايات وتصبح الجندية ذات تقاليد ومبادئ :

صلح عزيزى على حرب مظفرة      فالسيف فى غمده والحق فى النصب  
يا حسن أمنية فى السيف ما كذبت      وطيب أمنيته فى الرأى لم تخب  
خطاك فى الحق كانت كلها كرم      وأنت أكرم فى حقن الدم السرب  
حدوت حدو الصلاحين فى زمن      فيه القتال بلا شرع ولا أدب  
لم يأت سيفك فحشاء ولا هتكت      قناك من حرمة الرهبان والصلب  
سثلت سلما على نصر فجدت بها      ولو سثلت بغير النصر لم تجب

فهناك إذن دعاة الحرب الطامعون فى المزيد من السيطرة والتحكم  
والسلطان ، وهنا قادة حرب لم يجدوا منها مناصا للدفع الفوضى والضلال  
والعدوان ، والفريقان معروفان لشوقى تماما :

همة الفاتحين حكم وقهر      ولك الهمة التى هى أبعد  
ليس من يفتح البلاد لتشقى      مثل من يفتح البلاد لتسعد

وهو فى هذا الصدد ، يحدثنا عن صفحة - ليست من الصفحات البيض  
فى تاريخنا القديم - وفيها تقاعسنا عن الاستعداد ، وأخطأنا فى الاحتياط  
فكرثنا كارثة الغزو الذى شنه الطاغية المشهور فى التاريخ باسم قمبىز .  
فيم كان يحارب قمبىز ؟ ولأى سبب كان يزهد الأرواح ويسيل  
الدماء أنهاراً . . . ؟

فى غـد تدخل مصرا      بنت فرعون ذليله  
وترى السيف مخوفا      وترى النار مهوله  
وترى النيل دما      والأرض جرداء محوله  
لا أناس لا مواش      لا بناء لا خيـله  
أنا للسيف وللرمح      وإخضاع القبيله

هذه هى روح الشر التى سيطرت على كثير من الغزاة الطغاة، فأين قمبـيز  
هذا الطاغية من رائد الجندية ونموذج القيادة الإسكندر المقدونى الذى كان ينشئ  
لمدن، وينشر العلم ويحترم الديانات ويبشر بالإخاء ويسعى لتزواج الشرق  
بالغرب، ويحترم خصمه المهزوم كما فعل مع زوجة «دارا» فجعلها تعيش فى  
فصرها معززة ومكرمة، وكما فعل مع «بيدوس» ملك الهند عندما طلب منه  
أن يتركه يعيش كملك فأجابه إلى ما أراد.

أما محاولة قهر الشعوب وقنص الرايات فليست مهمة الجيش الأصيل،  
ولا نتيجة نهائية لها سوى الندم والألم والضـياع . . والتاريخ ملئ  
بالنماذج والأمثال . .

راعك ماراع من خيل قمبـيز ترى سنا بكها بالشرر  
جوارف بالنار تغزو البلا      د وآونة بالقنا المشتجر  
وأبصرت إسكندرا فى الملا      قشيب العلا فى الشباب النضر  
وشاهدت قيصر كيف استبد      وكيف أذل بمصر القصر  
وكيف تجبر أعوانه      وساقوا الخلائق سوق الحمر

وكيف ابتلوا بقليل العديسد من الفاتحين كريم النفر  
رمى تاج قيصر رمى الزجا ج وقلّ الجموع وثلّ السرر  
فدع كل طاغية للزما ن فإن الزمان يقيم الصعر

\* \* \*

لا رعاك التاريخ يا يوم قبيـيز ولا طنطننت بك الأنباء  
دارت الدائرات فيك ونالت هذه الأمة اليد العسراء  
فبمصر ما جنيت لمصر أى داء ما ان إليه دواء  
نكد خالد وبؤس مقيم وشقاء يجد منه شقاء  
يأمر السيف فى الرقاب وينهى ولمصر على القسذى إغضاء  
جىء بالملك العزيز ذليلا لم تزلزل فواده البأساء

\* \* \*

أما الحرب المشروعة ، التى يهمل لها شوقى ، ويذكر المدائح فى ركبها  
فهى الحرب ضد الطغيان وضد الهمجية :

كم من غزاة للرسول كريمة فيها رضى للحق أو إعلاء  
كانت لجند الله فيها شدة فى إثرها للعالمين رخاء  
ضربوا الضلالة ضربة ذهبت بها فعلى الجهالة والضلال عفاء  
دعموا على الحرب السلام وطالما حقنت دماء فى الزمان دماء

## دعامة الجنديّة

خرج شوقي من دراسته لتاريخ العالم وأحدثاته الكبرى بعدد من الحقائق والنظرات في شؤون الجنديّة والحرب ، وقد ساعدته شاعريته الخارقة للعادة وقريحته الكاشفة للأسرار أن يصل إلى نتائج لم يظفر بها غير القادة الأماجد والمحاربين ذوى التجارب الهائلة .

وقد رأينا فيما أوردناه بعض الحقائق التي صادها شوقي . فالحرب حقيقة ملازمة ، ولكنها لا تكون شريعة إلا للدفع الشر أو توقيه ، وإن الأمة يجيشها ، فلا أمن ولا حرية ولا سلام إلا إذا كان للبلاد جيش وطني قوي . وهذا الجيش الوطني القوي يجب أن ينبع من الشعب ، فلا تدخله عناصر غريبة لا في قيادته ولا في صفوفه ، وأن تقف الأمة وراء جيشها متحدة مترابطة مفتوحة العينين لما يبته الخصوص . . . ومن هنا تستطيع البلاد أن تعيش في أمن ، وأن تسعى في مضمار الحياة وتأخذ بأسباب الغنى والرفق . وقد رسم شوقي لهذا الجيش أبهى صورته ، بل أصدقها وأكملها :

يا أيها الجيش الذي لا بالدعي ولا الفخور  
يخفى ، فإن ربح الحمى لفت البرية في الظهور  
كالليث يسرف في اللعاب ل وليس يسرف في الزئير

الخطاب العلياء بالأرواح غالية المهـور  
هذا الجيش لا يتظاهر ولا يدعى ، ولا تأخذ عليه تغالياً في المظاهر  
أو إغراقاً في الشكليات ، بل هو جيش يعرف مهمته المقدسة ، وهي الدفاع عن  
الوطن . ويعلم الوسيلة إلى أداء هذه المهمة ، وهي التدريب والاستعداد  
ومجافاة المتع وملافاة أسباب الفساد ، وخلصته الطاعة والانقياد وتنفيذ  
التعليمات التي تتضمن دوام الاستعداد وتلافى أسباب الدعة والميوعة حتى  
لا تطفئ على روح الجند والاجتهاد

أولئك لاني حماة الديار ولا في العديد ولا في العدد  
طاووايس في عرصات القصور تروق تهاويلها من شهد

• • •

والخيل « يا ميجا » هناك ؟

قليلة في جيش « مصر » قليلة الفرسان  
أسفاً على الفتيان أين حماسهم قتل النعيم حمية الفتيان

• • •

إن ورد السلم من كثرته ضيغت أظفارها فيه الأسود

• • •

والخطر الداهم هو أن تدخل جرثومة الخيانة في الجيش أو تكمن فيه  
عوامل خلاف وشقاق . . إن « شوقى » ينه ويحذر ويحدث بسوء المصير :  
وانخلاف الجند فيما بينهم أخذ البأس وإن أبقى الحديد

• • •

بطلاها تقاسما الفلك والجيش وشبا الوغى ببحر وبر  
وإذا فرق الرعاة اختلاف علموا هارب الذئاب التجسني  
فالجيش يجب أن يكون وحدة قوية متماسكة تحت راية واحدة ، سواء  
كان ذلك في السلم أو في الحرب ، ويجب أن يكون خلواً من العناصر غير  
الوطنية ، فالدخلاء كانوا دائماً مصدر خطر على الجيش بل عاملاً قوياً من  
عوامل انهياره .

ويقص علينا شوقى أنباء هذه المأساة أكثر من مرة :

أصبح الجيش ..

... تكلم قل ، أبن كالتطيع اختلفت فيه الجلود  
حشر اليونان في رايته وتراغى الزنج واندس العبيد  
وغدا كل طريد لم يجسد سبب الرزق أتى الجيش بصيد  
فهل مثل هذا الجيش جدبىر باسمه ، وهل هو درع الوطن حين تدهمه  
غزوه ! ؟

انظر بعد هذا ، إلى موقف مماثل : يحدثنا فيه شوقى عن قيصر أنطونيو

وكيف ساوره الشك في قواته وبرح به الظن في حلفائه فصاح :

ولست أخاف الدارعين وإنما أخاف فجاءات الحياة والغدر  
وليس كمين الحرب ما أنا هائب ولكن كمين الغدر في ظلمة الصدر  
فياقائد الأسطول هل من مكيدة تدبر لي خلف الشراع وما أدري  
نعم أيها القائد الكبير ، لقد محقت نبوءتك وصح شكك . وأصبح  
الشك حقيقة ..

وكان جنودك شر الجنود      د عليك وخبرهمو للعددا  
فخانت أساطيل أمتها      وجيش عقدت عليه الرجا  
وخلفت في عسكر كالنعاج      كثير الإغناء قليل الغنا  
فمن يائس مات قبل القتال      ومن خائن فر قبل اللقا

وإذا لم تكن الروح المعنوية عالية « والضبط والربط » يحكم تصرفات  
الجيش ، والقيادة تسيطر على الموقف دائماً ، فإن الأمل في الثبات لا يلبث  
أن يتبخر مع تطورات المعركة .

خلت من بنى الجيش الحصون وأقمرت      مساكن أهلها وعم التخرب  
ونادى مناد للهزيمة في الملا      وإن منادى الترك يدنو ويقرب  
فأعرض عن قواده الجند شاردأ      وعلمه قواده كيف يهرب

وبهذا تصبح الهزيمة وصفاً متواضعاً لما يحدث ، فكثيراً ما دارت على  
الجيش الدائرة ، ولكن الثبات وروح الانقياد والضبط والربط كثيراً ما قلبت  
الموقف ، ونزعت النصر من براثن الهزيمة .. أما حين تخبو النفوس وتطير شعاعا  
ويحل الوهن بجنود غير مدربين وقادة غير مستققلين فإن الهزيمة تصبح كارثة  
ولا يعد هناك مجال للانسحاب المنظم أو لمحاولات تعطيل العدو وتقليل  
الخسائر وإنقاذ جانب من الجيش لمعاودة القتال .. وبهذا تحل الكارثة  
على البلاد وتم المأساة فصولاً ..

نحو بالنفوس الذاهلات وما نحو  
وتمضى سرايا واطنات بخيلها  
فن راجل نهوى السنون برجله  
تكاد خطاهم تسبق البرق سرعة  
هزيمة من لاهازم يستحته  
بغير يد صفر وأخرى تقلب  
أرامل تبكى أو ثواكل تندب  
ومن فارس تمشى النساء ويركب  
وتذهب بالأبصار أيان تذهب  
ولا طارد يدعو لذلك ويوجب

\*\*\*

فهل كان هذا جيشاً . . للحرب ! ؟

وأين هذه التمثيلية من أحداث المعارك الكبرى التي أطبقت فيها الهزيمة فلم تقع الخاتمة الكريمة وإنما نظمت عمليات الانسحاب ، ونفذت محاولات تعطيل العدو مثلما حدث في « دنكرك » عندما حانت الهزيمة بالجيش البريطاني ولكن لم تستطع قوات الألمان أن تقضى على القوة الرئيسية للجيش ، وأيضاً عندما انتصر الإنجليز في معركة العلمين فلم يستسلم « روميل » ، ولم تسمح تعاليم الجيش الألماني الضاربة في العراقة والتقاليد أن تصبح الهزيمة كارثة ، بل أخذ روميل يقوم بعمليات المؤخرة ويعرقل تقدم الحلفاء ، وينظم انسحاب قواته ، حتى أفلت بأعجوبة من القبضة الرهيبة التي أطبقت عليها .

وشوق حين يقدم هذه العظات البالغة والدروس النافعة ينتهز الفرصة كلما واته ليوجه الحديث إلى قومه يحض على العناية بالجيش وتدعيم قوته ورفع معنويته ، وهو في كل مناسبة من مناسبات التاريخ المشرفة يشدو بالمجد ويسجل بالفخار :

يا عسكر النيل السلامه  
ظفرت بالنصر كل حين  
في يوم سلم وفي قتال  
فما شهدت القتال إلا  
أبليتمو قادة وجنودا  
قد شيّد الله مجاد مصر

يا عسكر النيل السلامة  
وفزت بالعزّ والكرامة  
وفي رحيل وفي إقامة  
رفعت للضفتين هامة  
بورك في الجند والزعامة  
والجيش من مجدها الدعامة

## القائد الجيد

من القول المأثور لنا بليون أشهر عبقرية عسكرية ، أنه لا يوجد جندي ردىء ولكن يوجد قائد ردىء !

وتاريخ الحرب يشهد بصحة هذا القول ، فالجيش بقائده ، ومثلما يكون القائد يكون الجنود .

والمثل يقول : إن ألف ثعلب يقودهم أسد لأسعد حظاً من ألف أسد يقودهم ثعلب ، وقد أفصح شوقى عن هذا الخاطر ، فقال :  
وما الملك إلا الجيش شأناً ومظهراً ولا الجيش إلا ربّه حين ينسب  
وقد أراد مرة أن يختصر وصف المعركة ويسارع فيقرر مصيرها ، فنظر إلى القائدين ، وقارن بينهما ، وأدلى بالنتيجة المحتملة :

وقام فتانا الليل يحمى لواءه وقام فتاهم ليلاه يتلعب  
توسد هذا قائم السيف يتتى وهذا على أحلامه يتحسب  
وهل يستوى القرنان ، هذا منعم غرير ، وهذا ذو تجاريب قلب !؟

وما دام هذا هو شأن القائد ومبلغ ما يؤثر به في جنوده حتى أنهم يتأثرون به قوة أو ضعفاً ، ويذهبون مذهبه نصرًا أو هزيمة ، فقد أصبح اختيار

القادة عملاً أساسياً في بناء الجيش ، وصارت ثمة صفات وميزات ينبغي أن تتوفر في القائد ، ليعهد إليه بهذا الأمر الخطير .

انظر إلى هذا الوصف الذي أجمل فيه شوقي أعظم صفات القائد :

الخيل تأتي غير أحمد حاميا      وبها إذا ذكر اسمه خيلاء  
شيخ الفوارس يعلمون مكانه      ان هيجت آساده الهيجاء  
وإذا تصدى للظبي فهند      أو للرماح فصعدة سمراء  
وإذا رمى عن قوسه فيمينه      قدر وما ترمى اليمين قضاء  
من كل داعي الحق همة سيفه      فلسيفه في الراسيات مضاء  
ساقى الجريح ومطعم الأسرى ومن      أمنت سنابك خيله الأشلاء  
إن الشجاعة في الرجال غلاظة      ما لم تزنها رافة وسخاء . .

فالقائد عند شوقي هو الجندي الشجاع الذي يتصدى للعدو ويلاقيه سيفاً بسيف ويرد طعناته ، ويرمي بقوسه فيصيب هدافه لشدة مقدرته ودقة تصويبه وكثرة مرانه . . حتى إذا سقط خصمه لم يجهز عليه ، ولم ينكل به وإنما يحنو على الجريح فيسقيه ويعالجه ويحسن إليه ، ويقبل على أسيره فيفك ضيقته ويطيب خاطره ، ويمر بأرض المعركة في رافة وحيلة ، حتى لا يدوس صرعى الخصوم ولا تظأ قدمه أشلاءهم . . تلك هي الجنديّة الصحيحة وهذا هو القائد الأعلى .

ويرى شوقي أن القائد الأمثل هو من يقود الجيش للذود عن الحمى والدفاع عن الحق ، أما أن يغتر القائد بقوته وتطنخي عليه أطماعه وتستبد

به أغراض السيطرة والتحكم ؛ فإن ذلك لما يخرج من حساب القادة إلى  
عداد الطغاة .

همة الفاتحين حكم وقهر      ولك الهمة التي هي أبعد  
ليس من يفتح البلاد لتشتي      مثل من يفتح البلاد لتسعد  
وليس القائد بالرجل الجلف المملوء بأساً وعنفاً والذي لا يعرف غير  
الضرب والظعن ، وليس رجال الجندية قساة ذوى قلوب متحجرة  
وعواطف جامدة - كما يتصور البعض أخذاً للأمور بظواهرها - والحقيقة  
أن العسكريين الأصلاء إنما تنطوى صدورهم على قلوب حانية ونفوس نبيلة  
وإن كانت صناعتهم نهب الأعمار وسفك الدماء .

يمشون تغضى الأرض منهم هيبة      وبهم حيال نعيمها إغضاء  
حتى إذا فتحت لهم أطرافها      لم يطغهم ترف ولا نعماء

\* \* \*

والجاعلين سيوف الهند ألسنهم      والكاتبين بأطراف القنا السلب  
لا الصعب عندهم بالصعب مركبه      ولا المحال بمستعص على الطلب  
ولا المصائب إذ يرمى الرجال بها      بقائلات إذا الأخلاق لم تصب  
قواد معركة ورآد مهلكة      أوتاد مملكة آساد محترب  
من فلّ جيش ومن أنقاض مملكة      ومن بقية قوم جئت بالعجب

\* \* \*

لم يأت جيشك فحشاء ولا هتكت  
سئلت سلماً على نصر فجدت بها  
وما السلاح لقوم كل عدتهم  
قناك من حرمة الرهبان والصلب  
ولو سئلت بغير النصر لم تجب  
حتى يكونوا من الأخلاق في أهب

• • •

بلوناك يقظان الصوارم والقنا  
سهرت ولد النوم وهو منية  
وهكذا رسم شوقى بريشته الباردة ملاحم الجندى الكبير ، وانثنى  
فحدثنا عن القادة العظام كيف يكون لإقدامهم فى الحرب وشدتهم ساعة  
الوغى ، ثم ما يمنعهم عن الغلوفى النكاية بالعدو والتطرف فى القتل والتدمير ؛  
فأطلعنا بذلك على تقاليد الحرب وآداب القيادة .

ولم يقف شوقى عند حد رسم هذه الشخصيات النموذجية . بل جدت فى  
استكمال الصورة ، فجاء بأمثلة لقادة تناسوا الطريق ، وتنكروا لتقاليد  
الجنودية وأوغلوا فى الخطيئة .

انظر كيف حدث من أنطونيو القائد الرومانى الكبير الذى تعلقت به  
آمال بلاده ؛ وتجمعت حوله مصائر جنوده ، فبأدها جميعاً فى نشوة الهوى :

ضيعت قيصر البرية أنى  
فتنت منه كهف روما المرجى  
قاهر الخصم والجحافل مهما  
يا لربى مما تجر النساء !  
والحسام الذى به الانتقاء  
جدت هول الوغى وجاء اللقاء

• • •

ماذا فعل القائد أنطونيو . . ؟

اشتبك في المعركة الكبرى التي تقرر مصيره ومصير جيشه ومصير بلاده ، وأبلى فيها البلاء الحسن ، وهي معركة أكثيوم التي دارت بينه وبين خصمه أو منافسه أوكنافيوس ، وقد استطاع في الساعات الأولى من المعركة أن يهاجمه بشدة وأن يحدق بقواته وصار النصر قاب قوسين . . إلا أن هذا القائد الفذ كان مشغول الفكر بحبيبة القلب ، فتعاركت في نفسه المسئولية والهوى

وأيام يدعوني الهوى فأجيبه      وينفخ في البوق المنادي فأنبى  
فتنت الغواني برهة وفتنتني      ولكنتني عن سوّدد لم أقصر

لا . . يا أخ

الجنديّة براء منك ، فهي الشرف وهي الوطنية ، ولتذهب أنت من عداد القادة البارين إلى أسفل سافلين ، إنك توشك أن تبيع شرفك العسكري وتضحى بجيشك وتطعن وطنك . . من أجل امرأة ! ؟

يا للعار !

لم تأت حتى جاء في آثارها      للحب أجنحة بين يطار  
ويقال بل أخذته تحت شراعها      ونجا به فلك لها محضار  
لقد ترك أنطونيو المعركة وهو على حافة النصر ، ولم يستطع أن يصمد أمام نزوات قلبه وعاد بمراكبه وجنده في جنح الظلام ، وادعى أنه أحرز نصراً . . وجعل من الهزيمة فوزاً ومن العار مجداً .

الحرب تعلم والأيام تشهد لي  
لو كنت شاهدتي والحرب جارقة  
قد جنُّت تحتى جوادى فهو عاصفة  
رأيت حملة صدق غير كاذبة  
لما صدمت جناحيهم وقلبهمو  
ومالت الشمس أو كادت فراجعنى  
حتى رجعت ولو أنى طردتهمو  
ولم يبق السر خافياً إلى الأبد ، فتمد بدأ القادة والجنود يشغلون بأمره  
ويتكشفون أسرار قلبه ، وكيف هوى المقاتل الباسل فاستبدل بالسيف كأساً  
وبالدرع صدرأً لينا . .

هلا نظرت إلى الأميرة إنها  
وتأمل المفتون كيف جرى على  
أوروس أنطونيو حسابكما غدا  
سكرى تعثّر في خليع عذارها  
آثارها وانجرّ في تيارها  
روما الأبية لا تم عن ثارها

\* \* \*

دعوا أنطونيو إني أرى السكر به أرى  
لقد كان الفتى الفطن فصار الحدث الغرا  
بل أكثر من هذا ، يسأله أحد قاداته .  
أحقّ مارك أنطونيو س من رومية تبرأ  
فيجيب ، ونظره معلق بمحبوبته :

أجل اتبع مولاني ولا أعصى لها أمرا

فتكون النتيجة الحتمومة : المؤامرة .

سنايث ساعة نختال حتى إذا سلّت عقوطينو انسلنا  
فما المتدله السكر أهلا لتنصره السيوف إذا استلنا  
ثم يذهب القائد الخمور إلى الحرب بين قادة لا يحملون له احتراماً ،  
فلم يلبث حتى دارت الدائرة عليه فولى هارباً . . ؟ !

وراحت السكره وجاءت الفكرة . . ولات ساعة مندم !

ولكن شوقي يذيع المأساة ليستمع إليها رجال الجندية حتى آخر الزمان ..

أوروس ماذا دهاني	حتى نسيت مكانى
أتيت ما هدّ مجدى	وحظّ رفعة شانى
جللت نضى بعمار	يبقى بقاء الزمان
لما حمت جوادى	على الفرار ازدرانى
وضجّ منى سبنى	وضجّ منى سنانى
وودّت الأرض نحتى	لو طهّرت من عيانى
أنا الذى كان أمضى	من الحديد جنانى
الشرق يدري نزالى	والغرب يدري طعانى
كان الملوك عبيدى	فصرت عبد الحسان

ثم يلقي بالحكمة ، وهى أصدق ما تكون من أفواه المجربين :

ولم أرك الحرب استراح قتيلاها  
ولكن شقي الحرب والمصطفى بها  
وأخيراً يتجه إلى نهايته المحتومة :  
أماناً إله الحرب ما أنت صانع  
لقد ذلّ من بعد امتناع كأنه  
صرعت أكاليلي وحطّمت صارمي  
ولم تألني هدماً وكنت بنيتني  
ملاّت سبيلي بالهوى وصروفه  
أروس ، أرى الدنيا بعيني أظلمت  
وضاقت بي الأرض الفضاء فكلها  
غويت وأوفى بي على الخنزة الهوى  
قشعريرة الخوف اعترتني ولم تكن  
ملئت من الأحداث رعباً فضمني  
أرى الموت ممدود اليدين كمنقذ

وأفضى إلى التميذ الأسير المقيد  
إذا انقضت الحرب الطريد المشرّد  
بهذا الحطام المستباح المبعثر  
بقية نصل أو رفات غضنفر  
وجردتني من أرجواني المظفر  
بناء الصناع القادر المتجبر  
ومن يمش في أرض الهوى يتعثر  
وكانت قديماً كالصباح المنور  
سبيل طريد ضائع الدم مهدر  
فخفت ومن يركب شفا الجرف يذعر  
إذا ما اقشعرت تحت الأرض تعترى  
إليك وقرب من إزارك متزرى  
لمثلي من غرقى الحياة مسخر

~ \* ~

وقبيل :

صورة أخرى لرجل وضع نفسه ، أو وضعه بعض المؤرخين ، في صفوف القادة ، وهو وضع لا تتمرّه تقاليد القيادة ولا تحتمله صفحة القواد العظام . .

إنه حاكم طاغية لا يعرف إلا مهاجمة الجار ونهب الأرزاق والأرواح  
ودفع القوة البربرية لتدمير الحريات ودمر الحقوق وإذلال النفوس .  
ولا مبرر غير هذا لما قام به قبيز من عدوان وسطو  
وهو ماجاء به إلى مصر حيث لقي نهايته المهينة . .  
بدأ بإرسال الجواسيس يأتون له بالمعلومات ويشتركون له بعض الضمائر ،  
فهو سبَّاق في استخدام الحاسوبية والطابور الخامس قبل الجنرال فرنكو  
بآلاف السنين .

لا تراعى فما على الجيش بأس كل شيء على الحدود تهبها  
قد وجدنا الجرار في مصر والماء ولم نعلم الرجال السقيا  
واشترينا الخفير بالمال والحا رس الأميين القويا  
وقاد قبيز الإعصار إلى مصر واستولى عليها بعد معركة قصيرة ، وراح  
يستمع إلى اقتراحات قاداته البربر :

سيدي لا تبد رفقا وامض في الأعناق دقا  
واهدم الأبراج هدما واحرق الأجران حرقا  
ودع الوادي قاعا واحلق الشطئين حلقا

وأبليس معبودهم أين هو هو العجل وهو الذي آلهو  
وليس إنسا ولكننا على الشعب كهانة موهو

• • •

أبي لعمري فرعون مصر ويشبهه قومه في أباه  
سأدعك في التراب أنافهم وألصق بالأرض تلك الجباه

\*\*\*

وهكذا أصبحت مهمة القائد في نفس قبيلتي هي الغزو والعدوان ودعك  
الأنوف في التراب وتدمير المقدسات ، وقتل الآلهة ! ..

إله النيل لم تغضب لم تكسر جفنيكا  
تأمل شبح الموت ألم يبد لعينيكا  
وهذا خنجرى الماضى فخذ بين قرنيكا

ثم تسرع النهاية إلى هذا الطاغية الحقير الذى حشر خطأ فى قائمة  
الفاحين فتصيبه نوبة صرعة تودى به فيقتل نفسه غير مأسوف عليه .

ويحدثنا شوقى عن لفيف من القادة العظام فيعبر عن إعجابه بصفاتهم  
وتقديره لأجسادهم .

فهو يقول عن صلاح الدين الأيوبي قائد الجيش العربى الموحد وقاهر  
الاستعمار الغربى فى « حطين » .

يعرف الدين من صلاح ويبرى من هو المسجدان والأسراء  
إنه حصنه الذى كان حصنا وحماه الذى به الاحتماء  
يوم سار الصليب والحاملوه ومشى الغرب قومه والنساء  
بنفوس تجول فيها الأمانى وقلوب تثور فيها الدماء

يضمرون الدمار للحق والناس  
 ويهدون بالتلاوة والصلوات  
 فتلقتم عزائم صادق  
 مزقت جمعهم على كل أرض  
 وسبت أمرد الملوك  
 ولو ان المليك هيب أذاه  
 هكذا المسلمون والعرب الخا  
 فبهم في الزمان نلنا الليالي  
 ليس للذل حياة في نفوس  
 وقد احتفل الشاعر إيما احتفال  
 بزيارة إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني

لقبر صلاح الدين ، وليس يقدر العظيم حتما غير عظيم مثله :

عظيم الناس من يبكى العظاما  
 وعظمتهم ولو كانوا عظاما  
 رعاك الله من ملك همام  
 تعهد في الثرى ملكا هماما  
 أتدرى أى سلطان تحيى  
 وأى مملك تهدي السلاما  
 دعوت أجل أهل الأرض حرباً  
 وأشرفهم إذا سكنوا السلاما  
 فلو كان الدوام نصيب ملك  
 لنال بجد صارمه الدواما  
 ثم يقف حيال قائد من نوع آخر ، وهو نابليون ، فلا يتردد في

الشهادة له بالعبقريّة العسكرية :

رُبَّ يوم لك جلتى وانثنى  
أحرز الغاية نصراً غالباً  
قيصراً الانساب فيه نازلاً  
مجلس التاج على مفرقه  
حول « استرلتز » كان الملتقى  
وضع الشطرنج فاستقبلته  
فإذا الملكان هذا خاضع  
صادت شاه الروس والنمسا معا

سائل الغرة ممسوح الجبين  
لفرنسا وحوى الفتح الثمين  
قيصر النفس عصام المالكين  
بيديه لا بأيدي المجلسين  
والتقاء النسر بالمستنصرين  
بينان عابث باللاعبين  
لك في الجمع وهذا مستكين  
من رأى شاهين صيدا في كمين

# مبادئ الحرب

يعرف رجال الجندى أن هناك مبادئ للحرب نشأت منذ قديم وطبقها في الحروب كثير من القادة ، وقد تطورت هذه المبادئ وتعدلت أكثر من مرة حتى صاغها نابليون في ثمانى مبادئ هي أعمدة النصر المؤزر لمن وفق إلى تطبيقها ، وهذه المبادئ هي :

الحشد : أى تجميع أكبر قوة ممكنة فى اللحظة المناسبة للضربة النهائية فى المعركة .

خفة الحركة : أى سبق العدو إلى الغرض المطلوب .

المفاجأة : أى أخذ العدو على غرة أو القيام بعمل لا يتوقعه العدو .

الاقتصاد فى القوة : أى تحقيق الغرض بمائة جندي خير من مائة وخمسين

وبألف رصاصة بدلا من ألف ومائة .

الوقاية : أى اتخاذ الترتيبات لضمان السلامة وعدم المفاجأة .

التعاون : أى أن تعمل جميع الأسلحة فى خطة واحدة .

القتال التعرضى : أى الأعمال الهجومية ، فإن الهجوم هو السبيل للنصر .

الروح المعنوية : أى الشعور بالثقة والافتناع بالفكرة وتتمام

الضبط والربط .

وقد جاء شوقى بهذه المبادئ جميعاً فى شعره ولم يخف عنه أحدها .  
وأليك بعضها على سبيل المثال لا الحصر . .

### الحشد :

ملكتم سبيلهم فى الشرق مضرب      لجيشك ممدود وفى الغرب مضرب  
ثمانون ألفاً أسد غاب ضراغم      لما مخاب فيهم وللموت مخاب

### خفة الحركة .

يمرون مرّ البرق تحت دجنّة      دخانا بها أشباحهم تتجلبب  
حشيشين من فوق الجبال وتحتها      كما انهار طود أو كما انهار مذنب

زحفت زحفت أتى غير ذى شفق      على الوهاد ولا رفق على المضرب  
قذفتهم بالرماح الموج مسرجة      يحملن أسد الشرى فى البيض واليلب  
هبّت عليهم فذابوا عن معاقلهم      والثلج فى قلى الأجيال لم يذب

وأى وصف يمكن أن يكون أمتع من هذا الحديث عن حرب البرق  
أو الحرب الخاطفة .

### المفاجأة :

لما صدمت جناحيهم وقلبيهم      طاروا بأجنحة شتى من الرعب

لم يلبس قائلهم لما أحطت به  
أخذته وهو في تدبير خطته  
هبطت من صعد أم جئت من صيب  
فلم تم وكانت خطة الهرب

### الروح المعنوية :

نشوى من الظفر العاني مرئحة  
يكادون من ذعر تفرّ ديارهم  
يكاد الثرى من تحتهم يلج الثرى  
تكاد خطاهم تسبق البرق سرعة  
من سكرة النصر لا من سكرة النصب  
وتنجر الرواسي لو حواهن مشعب  
وتقضم بعض الأرض بعضا وتقضب  
فتذهب بالأبصار أيان تذهب

### الاقتصاد في القوة :

قعدنا فلم يعدم فتى الروم فيلقا  
ظفرنا به وجها فظن تعقباً  
من الرعب يغزوه وآخر يسلب  
وما ذا يزيد الظافرين التعقب

### الوقاية :

كان عيون الجيش في كل مذهب  
من السهل جينّ چول فيه جوب

### القتال التعرضي .

تلوح لهم في كل أفق وتعتلى  
وتقدم أقدام اللبوث وتثنى  
وتطلع فيهم من مكان وتغرب  
وتدبر علماً بالوغى وتعقب

وتملك أطراف الشعب وتلتقى وتأخذ عفوا كل عال ومقضب  
وتغشى بأبيات المعامل والذرى فثيبن البكر والبكر ثيب  
ولم تفته خطة من أهم خطط الحرب ، وهى العمليات الليلية ، وقد  
كان يأخذ بنفوسنا فى خلال دراسة الحرب العالمية الثانية كيف كان المارشال  
ويقل يخفى قواته فى النهار ويمضى فى التحرك أثناء الليل حتى استطاع أن يصل  
إلى معسكر الإيطاليين فى الصحراء الغربية . . كنا نعجب بهذه الخطة  
الفذة دون أن نفطن إلى أن شوقى حدثنا عنها قبل ذلك بربع قرن من الزمان .  
أفى ليال تجوب الراسيات بها وتقطع الأرض من قطب إلى قطب  
سل الظلام بها أى المعامل لم تظفر وأى حصون الروم لم تشب

\* \* \*

وأنه لمن المناسبة فى هذا المقام أن نذكر فضل السلف الصالح فيما  
ترك لنا من خبرات وتجارب وخطط ومبادئ حربية لم نشط إلى دراستها  
والإفادة منها حتى الآن ، وهذه العمليات الليلية مثلا كانت معروفة  
للغرب يهجمون فى الظلمة أو يعدون أنفسهم فى الليل حتى يقومون بالهجوم  
فى الفجر ، وكان النبي صلوات الله عليه يقول « ادرعوا الليل فإنه  
أخفى للويل » .

ولشوقى - أمير الشعراء - رأى فى العوائق والموانع التى تعترض تقدم  
الجيوش وهو نفس رأى الذى عرف عن نابليون .

قال نابليون : حدود الممالك إما أنهار كبيرة أو سلسلة جبال أو صحراء

وأقصى هذه العوائق كلها التي تعوق تقدم أى جيش وأعسر ما على التذليل  
هى الصحراء :

وقال شوقي :

ودون النيل . .

ماذا دون مصر ؟      يجوب الجيش صحراء يبابا  
يضلُّ الجيش هديته عليها      ويظمئها ويوردها السرابا  
ترى جاد الجمال عليه يفنى      وتحسبها من اللهث الكلابا

## في المعركة

رأينا كيف جال شوقي في ميادين الجندية والحرب جولة الذكي الأريب  
والبحاث المدقق وخرج منها عالماً ببواطن الأمور واقفاً على الأسرار فلم يترك  
ناحية من نواحيها لم يوفها حقها من البحث والتقدير ولم تستعص على فهمه  
مشاكل المعركة وما يجري فيها من خطط ووقائع وأحداث جسام

ولهذا كان شوقي من الشعراء القلائل الذين يستمع إليهم في الموضوع ،  
ومن ميزاته أن كلامه يفهمه الجندي البسيط والقائد الكبير والقارئ العادي  
الذي لا علم له بمسائل الحرب . . . ويخرج كل منهم بنتيجة ترضيه .

وقد كان يدور بخلد البعض أن شوقي - كشاعر - كان يني بالمطلوب  
منه لو اكتفى بقصائد تدعو إلى السلم وتتغنى بعالم لا ضغينة فيه ولا مشاجرات  
ولكن شوقي تدخل في دائرة الحرب - على اعتبار أنها جزء من الحياة -  
وعالج شئونها المختلفة ثم قدم لئلاً هذه الدروس الجليلة والحقائق الباهرة  
ليعلم بها الباحثون عن الحقيقة وليتعلم منها الطلاب والناشئة ، وإذا به في الوقت  
نفسه - وقد لا يكون ذلك في حسبانته - يقدمها أيضاً لرجال الجندية فيرون  
في كثير منها مصداقاً لما يقرأونه في كتب كبار المؤرخين ، وفي تعاليم القيادة  
وفيما يصل إلى أيديهم من تراجم للقادة وفصول عن المعارك الكبرى .

وأهم النقط التي عنى شوقي بإبرازها هي :

١ - أن الحرب حقيقة ملازمة لا يدفعها غير الاستعداد لها ، أعنى إذا أردت السلم فاستعد للحرب .

٢ - أن الأمة بجيشها ، لا يغنيها عن ذلك ما تملكه من أسباب النعيم والرغد فالجيش هو درع الوطن الذي يحميه في الملمات ويؤمن حياته وحرية وكرامته وازدهار حياته .

٣ - أن للجيش وظيفة لا ينبغي تعدى دائرتها ، وهي دائرة الدفاع عن الوطن وأن للجندية آداباً هي الفاصل الكبير بين الجندية والبربرية ، وبين الدفاع عن الحق والطغيان .

٤ - أن الجيش بقائده ولهذا ينبغي أن يكون الجيش قوة متماسكة تحت راية رجل عظيم الهمة خبير بالحرب عارف بالأخلاق والعواطف التي تؤثر في الرجال .

وقد سجلنا في الفصول السابقة رأى شوقي في هذه الشئون الهامة التي لا يمكن أن يتصدى فيها برأى إلا جندي كبير يعرف الحرب علماً وعملاً . . . وهذا - كما قدمنا - من دلائل إعجاز شوقي وعلامات عبقريته .

وهو - وقد وقف على فكرة الحرب واستعرض مبادئها وطرائقها - أصبح يتكلم عن ثقة وبدلى بالرأى في وضوح ، ولا يكتم إعجابه بالسلاح المرهف والهجمة الباسلة والمفاجأة المذهلة واليوم العصيب .

وهو يعتبر السيف رمزاً للقوة ، ويحتفل به في كل مناسبة ، ويربأ به

أن يجاوز قدره أو ينحط عن شرف وظيفته .

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب  
وما السيف إلا آية الملك في الورى  
فأدب به القوم الطغاة فإنه  
وداوبه اللولات من كل دائها  
تنام خطوب الملك إن بات ساهراً  
وينصر دين الله أيان يضرب  
ولا الأمر إلا للذى يتغلب  
لنعم المربى للطغاة المؤدب  
فنعم الحسام الطب والمتطب  
وإن هو نام استيقظت تتألب

\* \* \*

كذا الناس بالأخلاق يبقى صلاحهم  
ومن شرف الأوطان ألا يفوتها  
ويذهب عنهم أمرهم حين يذهب  
حسام معزاً أو يراع مهذب

\* \* \*

انظر إليه كيف يستقبل أول طيار مصرى قدم من برلين إلى القاهرة طائراً  
في سنة ١٩٣٠ فيهنثه بهذا الإقدام ويحييه على هذه البسالة ، ويدور بعينه  
ينظر في وجوه شباب الوطن ويأسف لأن الفرصة لم تواتهم بعد ليكونوا  
نسوراً ، ويتمنى اليوم الذى ينجح فيه أبناؤنا « فى السماوات » .

يا سلاح العصر بشرنا به  
إن عزاً لم يظل فى غد  
فتكائر وتألف فيلقا  
مصر للطير جميعاً مسرح  
لم لا يفتن فتیان الحمى  
كل عصر بكىّ وسلاح  
بجناحيك ذليل مستباح  
تعصم السلم وتعلو للكفاح  
ما لنا فيه ذنابى أو جناح  
ذلك الإقدام أو ذاك الطامح

\* \* \*

بل إن « شوقي » يتنبأ سلفاً بأن سلاح الجو هو سلاح المستقبل ، وأنه سيكون سلاحاً ليس للحرب فحسب ولكن سلاح للسلم أيضاً ، كان ذلك في سنة ١٩٣٠ فهل يستطيع أحد أن يقول اليوم أحسن مما قاله شوقي :

إن عزاً لم يظلل في غد      يجتاحيك ذليل مستباح  
فتكائر وتألّف فيلقا      تعصم السلم وتعلو للكفاح  
أو قوله :

سر النجاح وسر كل حضارة      همم من المتطوعين كبار  
هذا زمان لا الأعتة منزل      للباس فيه ولا الأسنه دار  
ما البأس إلا من جناحي خاطف      في البر والبحر اسمه الطيار

\* \* \*

ويقف شوقي أيضاً على سلاح غريب رهيب كانت - وما زالت -  
له المقدمة بين الأسلحة الحاسمة في الحرب قديماً وحديثاً ، ومستقبلاً .

ودبابة تحت العباب بممكن      أمين ترى السارى وليس يراها  
هى الحوت أو فى الحوت منها مشابه      فلو كان فولاذاً لكان أنخاها  
أبث لأصحاب السفين غوائلا      والأم نابا حين تغفر فاها  
خوون إذا غاصت غدور إذا طفت      ملعنة فى سبحها وسراها

\* \* \*

ويدف شوقي معارك الحرب ، البرية أو البحرية ، فلا يصعب عليه

موقف ولا يغيب عنه اصطلاح عسكري ولا تخفى عن فطانتة خطة أو حركة أو عمل يدخل في عداد الأسرار .

وفي ظني أن الذين قرأوا أوصاف المعارك في شعر شوقي قد أخذ بإعجابهم قافيته وأوزانها وصياغتها وألفاظها دون أن يبحثوا في حقائق الموضوع ، أعنى أنهم قالوا أنه شعر جيد دون أن يحاولوا دراسة هذه الحركة ومدى توفيق شوقي في نقلها إلى هذا النظم الرائع .

فهو — على قدر إحاطتي بالشعر العربي — لم يجاره في هذا المضمار — مع فارق العصر — سوى المتنبي وأبو تمام — بل لا أعلم بين الأدباء قاطبة من تصدى لشئون الحرب بقلم عربي مبدع سوى الأستاذ عباس محمود العقاد في العبقریات والأستاذ خليل ثابت في افتتاحيات المقطم في غضون الحرب العالمية الثانية . . وكتابات كل منهما لا يمكن أن تصدر عن غير معقب حربي راسخ القدم أو أستاذ في التاريخ الحربي واسع الأفق .

اسمعوا وصف شوقي للمعركة البحرية « اکتیوما » على لسان كليوباترا :

أهـا الساده اسمعوا خبر الحـرب وأمر القتال فيها وأمری  
واقتمحى العباب والبحر يطغى والجوارى به على الدم تجرى  
بين أنطونيو وأكتاف يوم عبقرى يسير فى كل عصر  
أخذت فيه كل ذات شوارع أهبة الحرب واستعدت لشر  
لا ترى فى المجال غير سبوح مقبل مدبر مكرّ منقر  
وترى الفلك فى مطاردة الفـلك كنسر أراد شرا بنسر

وتخال الدخان في جنبات الجو  
ودوء الرياح في كل لج  
وترى الماء منه عود سرير  
يغسل الجرح شر من غسل الجر  
جنحاً من ظلمة الليل يسرى  
هزج الرعد أو صباح الهزبر  
لفريق منه وإحناء قبر  
ح ويأسو من الحياة ويبرى

• • •

وفي وصف الحرب البرية يقول - على لسان القائد أنطونيوس :

الحرب تعلم والأيام تشهد لي  
لو كنت شاهدتي والحرب جارية  
قد جن تحتي جوادى فهو عاصفة  
رأيت حملة صادق غير كاذبة  
لما صدمت جناحهم وقلبهم  
وما وجدت لاكتافيو وقادته  
أنى شديد على الأقران جبار  
والصف تحتي بعد الصف بنهار  
وجن نصلى بكفى فهو إعصار  
لا السيل يحملها يوما ولا النار  
عن الخيام وعن أوكارهم طاروا  
ريحاً ولم أتبن أية ساروا .

ويصف القتال على سهل فرسالا ( الحرب العثمانية اليونانية ) :

حمينا كلانا أرض فرسال والسما  
ورحنا يهب الشر فينا وفيهم  
كأننا أسود رابضات كأنهم  
كأن خيام الجيش في السهل أينق  
كأن السرايا ساكنات مواجياً  
كأن القنا دون الخيام نوازلا  
فكل سبيل بين ذلك معطب  
وتشمل أرواح القتال وتجنب  
قطيع بأقصى السهل حيران مذئب  
نواشر فوضى في دجى الليل شرب  
قطائع تعطى الأمن طوراً وتسلب  
جداول يجريها الظلام ويسكب

كان الدجى بجر إلى النجم صاعد  
كان المنايا في ضمير ظلامه  
كان سهيل الخليل ناع مبشر  
كان وجوه الخليل غراً وسيمة  
كان أنوف الخليل حراً من الوفي  
كان صدور الخليل غدر على الدجى  
كان سنى الأبواق فى الليل برقة  
كان نداء الجيش من كل جانب  
كان عيون الجيش فى كل مذهب  
كان الوغى نار ، كان جنودنا  
كان الوغى نار كان بنى الرعى  
وثبنا يضيق السهل عن وثباتنا  
مشت فى سراياهم فحلّت نظامها

كان السرايا موجة المتضرب  
هموم بها فاض الضمير المحجب  
تراهن فيها ضاحكاً وهى نخب  
درارى ليل طلع فيه ثقب  
مجامر فى الظلماء تهدا وتلهب  
كان بقايا النضج فيهم طحالب  
كان صداها الرعد للبرق يصحب  
دوى رياح فى الدجى تتذأب  
من السهل جن جول فيه جوب  
مجوس إذا ما يمموا المنار قربوا  
فراش له فى ملمس النار مأرب  
وتقدمنا نار إلى الروم أوثب  
فلما مشينا أدبرت لا تعقب

## يحيا السلم

وبعد ، فإن الشاعر الرقيق - شكلا وموضوعاً - الذى رأيناه كالأسد  
المصور يدعو للقوة حتى تحمى البلاد حدودها وتؤمن حرمتها وسعيها فى  
الحياة وتصون مستقبلها .. نراه لا ينفك ينشد السلم ويتمنى للعالم حياة حرة  
كريمة لا يشوب صفاؤها عدوان ولا عراق ، وهو يوجه الحديث أولاً  
إلى أصحاب الشأن ليستعدوا ثم يوجه التحذير والنذير بعد ذلك إلى الباغين  
دعاة الحرب والتوسع والسيطرة ..

يا أيها الباغون ركـاب الجهالة والعمالة  
الباعثون الحرب جـا للتوسع والزيادة  
المدعون على الورى حق القيامة والوصاية  
المشكلون الموثمون الهادمون بلا نهاية  
كل الجراح لها الثـمام من عزاء أو نسيان  
إلا جراح الحق فى عصر الحصافة والدراية  
ستظل دامية إلى يوم الحصومة والشكاية

\*\*\*

يا ليت لم تمدد بشرّ يداً وليت ظل السلم باق ظليل  
حتى علينا عصبه جازفوا فحسبنا الله ونعم الوكيل

\*\*\*

قالها شوقى عندما ألقى غليوم خطبة نارية أثارَت خواطر الناس وأذنتهم  
بالحرب عام ١٩٠٦ . . وما زلنا بعد خمسين سنة نردد هذا القول ونعيده .

# حكم وأمثال حربية

## في شعر شوقي

ما السفن في عدد الحصى بنوافع حتى يهز لواءها مقدام  
يا معشر الإسلام في أسطولكم عزاً لكم ووقاية وسلام

\* \* \*

ومن شرف الأوطان ألا يعوزها حسام معزٌ أو يراع مهذب

\* \* \*

ولكن على الجيش تقوى البلاد وبالعلم تشتد أركانها

\* \* \*

ليس للذل حيلة في نفوس يستوى الموت عندها والبقاء

\* \* \*

الحرب في حق لديك شريعة ومن السموم الناقعات دواء

والحرب من شرف الشعوب فإن بغوا فالجند مما يدعون براء

والحرب يبعثها القوى تجبراً وينوء تحت ظلها الضعفاء

\* \* \*

دعموا على الحرب السلام وطالما

حقنت دماء في الزمان دماء

» » »

وما السيف إلا آية الملك في الورى

تنام خطوط الملك إن بات ساهراً

وما الملك إلا الجيش شأناً ومظهراً

» » »

وما شهداء الحرب إلا عمادها

مداد سجل النصر فيها دماؤهم

وبالتبر من غالى ثراهم يترب

» » »

فولتى وما ولى نظام جنوده

ويا شوّم جيش للفرار يرتب

» » »

وهل يستوى القرنان : هذا منعم

غرير . وهذا ذو تجارب قلب

» » »

ومن كان منسوباً إلى دولة القنا

فليس إلى شيء سوى العز ينسب

» » »

وما السلاح لقوم كل علمتهم

حتى يكونوا من الأخلاق في أهب

» » »

لا الصعب عندهم بالصعب مركبه

ولا المصائب إذ يرمى الرجال بها

قواد معركة ورّاد مهلكة أوتاد مملكة آساد محترّب

\* \* \*

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا  
وما استعصى على قوم منال إذا الإقدام كان لهم ركابا

\* \* \*

أفى الوغى ورحى الهيجاء دائرة تحصون من مات أو تحصون ماسلبا  
خلوا الأكاليل للتاريخ إن له يدا تؤلفها درا ومخسلبا

\* \* \*

ليس من يفتح البلاد لتشقى مثل من يفتح البلاد لتسعد

\* \* \*

دعوتهم لجهاد فيه سوّدهم والحرب أس نظام الكون والزمم

\* \* \*

إذا كان الرماة رماة سوء أحلوا غير مرماها السهاما

\* \* \*

الملك والدولات ما يبنى القنا والعلم ، لا ما ترفع الأحلام  
والحق ليس وإن علا بمؤيد حتى يحوط جانبيه حسام

\* \* \*

ترك الفريقان القتال وهذه سلم أمرّ من القتال عقام

\* \* \*

دخول الظافرين يكون صباحاً ولا تزجي مواكبهم مساء

\* \* \*

وإذا فرّق الرعاة اختلاف علموا هارب الذئاب التجنى

\* \* \*

ولست أخاف الدارعين وإنما وليس كمين الحرب ما أنا هائب  
ولم أر كالحرب استراح قتيها ولكن شقي الحرب والمصطفى بها  
أخاف فجاءات الخيانة والغدر ولكن كمين الغدر في ظلمة الصدر  
وأفضى إلى القيد الأسير المقيد إذا انفضت الحرب الطريد المشرّد

\* \* \*

فمن يائس مات قبل القتال ومن خائن فرّ قبل اللقاء

\* \* \*

وما منزل الأبطال إلا رحي الوغى إذا هي دارت أو رواق المعسكر

\* \* \*

احتفوا في الحياة والموت بالغا لب فانظر هل عظموا مغلوبا؟

\* \* \*

خلا الوكر من صرخات العقاب ونامت عن الغاب عين الأسد  
أولئك لا في حماة الديار ولا في العسديد ولا في العدد  
طواويس في عرصات القصور تروق تهاويلها من شهد

ولا يعجبك سلم يرف وخير يفيض ومال لبد

\* \* \*

وأغبي الناس منشمر لحرب توقع أن يصيب ولا يصابا

\* \* \*

إن ورد السلم من كثرته نسيت أظفارها فيه الأسود  
واختلاف الجند فيما بينهم أخذ البأس وإن أبقى الحديد

\* \* \*

أسفاً على الفتيان أين حماسهم قتل النعيم حمية الفتيان

\* \* \*

أبرى العجم من بنى الظل والماء عجباً أن تنجب البيداء  
وتشير الخيام أساد هيجاء تراها أسادها الهيجاء

(٢)

المتنبي





٣٥٤ - ٣٠٣

فالحيل والليل والبيداء تعرفني والحرب والضرب والقرطاس والقلم

«... ثم جاء المنابي فلأ الدنيا وشغل الناس»

ابن رشيق القيرواني

## أبو الطيب المتنبي

ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين في سنة ٣٠٣ هـ بمحلة كنده بالكوفة ،  
ورحل في صباه مع والده إلى الشام حيث جال في أقطاره وتنقل بين مجتمعاته  
واشتغل في فنون الأدب فمهر فيها ، وكان من المكثرين في نقل اللغة والمطلعين  
على غريبها وحواشيها فلا يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب  
من نظم ونثر .

وقد عرف بالمتنبي ، وطغى اسم الشهرة هذا حتى حجب اسمه الحقيقي  
ويروى أنه تنبأ وهو في فورة الشباب وضحوة العمر ، وفتن شرذمة بروعة  
أدبه وحسن كلامه فقبض عليه أمير حمص وحبسه حتى تفرقت شيعته  
وأعلنت توبته .

وحكى أبو الفتح بن جني قال : سمعت أبا الطيب يقول إنما لُقِّبْتُ  
بالمُنْبِي لقولي :

أنا ترب الندى وربّ القوافي وصمام العدا وغبظ الحسود  
أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود  
ما مقامى بأرض نخلة إلا ك مقام المسيح بين اليهود

وقد رثاه أبو القاسم الطبسي فأشار إلى ذلك الحدث المشهور في سيرة  
المتنبي بقوله :

ما رأى الناس ثانی المتنبي أي ثان يرى لـبكر الزمان  
هو في شعره نبی ولكن ظهرت معجزاته في المعاني

ووصفه الإمام الثعالبي الناسبوري بأنه نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر  
في صناعة الشعر : سار ذكره مسير الشمس والقمر وسافر كلامه في البدو  
والحضر تماماً كما قال المتنبي :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا  
فسار به من لا يسير مشمراً وغنى به من لا يغنى مردداً

وفي سنة ٣٣٧ هـ وصل المتنبي على مركبة شهرته إلى بلاط سيف الدولة  
ابن حمدان أمير حلب وكان كبير النفس واسع الفكر ، موفقاً في الحرب ، محباً  
للشعر والأدب ، فقرب إليه المتنبي منه وأجزل له في العطاء ، فراح يتفنن في  
مديحه ويتغنى بأمجاده ، ويخرج معه في حروب الثغور فيصنف الحرب وأسلحتها  
ومشاهدها ، وكانت له نظرات جدّ صادقة في شئون الجندية والحرب .

كان هذا العهد ، والمتنبي في ركاب سيف الدولة ، أزهى العهود ،  
ففيه أخرج أعظم قصائده ، وبلغ قمة شهرته وعاش في سعة ورفهنية ،  
فطاب مقامه وعزّ شأنه ، وقد عبر هو عن ذلك بأنه كان أسير سيف الدولة .  
تركت السرى خلفي لمن قل ماله وأنعلت أفراسي بنعماك عسجددا  
وقيدت نفسي في هواك محبسة ومن وجد الإحسان قبيلاً تقيددا

وفي هذه الفترة التي تألق فيها نجم المتنبي وازدهر شعره ظهر له حساد  
ونقاد حاولوا الوقعة بين الرجلين بعد أن فشلت محاولاتهم في التهوين من  
شأن المتنبي أو التفوق عليه . . وأخيراً وقعت بينهما الجفوة ، بعد ست سنوات  
حافلة ، وكان المتنبي يحس هذه النهاية وينبئه إليها سيف الدولة . .  
أجزني إذا أنشدت شعراً فإنني أنا الطائر المحكي والآخر الصدى

\* \* \*

أخا الجود أعط الناس ما أنت مالك ولا تعطين الناس ما أنا قائل

\* \* \*

ولكن سيف الدولة أعطى المتنبي لغيره ! فقد تركه بعد أن نجحت  
الوشايات بينهما وقل العطاء في عيني المتنبي ولم يعد يجد من ممدوحه ما كان  
يطمح إليه من مزيد الرعاية والتكريم .  
وشاء حظ الشعر أن تتغير بيئة الشاعر وأن تتنوع فنونه وأن يضاف  
فصل جديد حافل إلى سيرته وقصيده ، فأوقعه الزمان في ركاب كافور  
الأخشيدي والى مصر . . وكان المتنبي يأمل في ضيعة أو ولاية !  
وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

\* \* \*

أبا المسك هل في الكأس فضل أنا له فإنني أغني منذ حين وتشرب  
إذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب  
. . ولكن كافوراً أجفل من هذا الطموح ، وقد رأى تعاليه في شعره

وسمّوه بنفسه ، فخافه ، وعوتب في ذلك فقال :

ياقوم ، من ادعى النبوة بعد محمد ( ص ) أما يدعى المملكة مع كافور ،  
هرب المتنبي من مصر وهجا كافورا هجاء مقلداً مشهوراً ، ونزح  
إلى بغداد سنة ٣٥٠ هـ وهناك انبري له كثرة من الحساد والمنافسين يأتمرون  
به ويسدون عليه الطرق ، فتركها إلى الكوفة ثم ارجان حيث التقى بالوزير  
الأديب « ابن العميد » فأقام في ضيافته فترة .

وأخيراً وقع حادث عارض ختم به الغدر حياة المتنبي بطريقة مناسبة ،  
فقد وقع خلاف بينه وبين من كان يدعى فاتك « الأسدى » بسبب هجاء  
المتنبي لأخت فاتك ، فخرج عليه في جماعة والتمنبي على سفر ، ووقع بين  
الطرفين قتال أبدي فيه المتنبي بسالة ، فلما تكاثرت عليه السيوف ووجد ثمة  
فرصة للفرار انتهزها ونجا .. ولكن غلامه صدّه عن هذه النهاية المهينة قائلاً :

لا يتحدث عنك الناس بالفرار أبداً وأنت القائل :

فانليل والليل والبيداء تعرفني والحرب والضرب والقرطاس والقلم  
فقفل المتنبي راجعاً ، واشتبك مع خصومه حتى لقي حتفه شهيداً ..  
وكان ذلك في شهر رمضان سنة ٣٥٤ على مقربة من بغداد .

ويعتبر المتنبي أحد أئمة الشعر العربي ورافعي لوائه ، وقد اصطف أمامه ،  
في حياته وبعد مماته ، حشد من النقاد والحساد والمنافسين فلم يجدوا غير الهين  
والقليل من المآخذ والكبوات .

وقد ذكر القبرواني في كتابه المشهور « أعلام الكلام » عن المتنبي :

« قد شغل الألسن وسهرت في أشعاره الأعين ، وكثر الناسخ لشعره  
والغائص في بحره ، والمفتش عن جمانه ودره ، وله شبيعة تغلو في مدحه ،  
وعليه خوارج تتغالى في جرحه .

« وألفت الكتب في تفسير شعره ، وحل مشكله وعويصة ، وكثرت  
الدفاتر على ذكر جيده وردينه ، وتكلم الأفاضل في الوساطه بينه وبين خصومه  
والإفصاح عن أبتكار كلامه وعيونه ، وتفرقوا فرقاً في مدحه ، والقده  
فيه ، والنضح عنه ، والتعصب له أو عليه .

« وليست اليوم مجالس الدرس أعمر بشعر أبي الطيب من مجالس  
الأنس ، ولا أقلام كتاب الرسائل أجرى به من ألسن الخطباء في المحافل ،  
ولا لحون المغنين والقوالين أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين . . . »

ومن طريف ما روى عن ذبوع شعر المتنبي أن ابن العميد تلقى في وفاة  
شقيقته ستين كتاب تعزية ونيف ، ما منها إلا وقد صدر بقول المتنبي :  
طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالى إلى الكذب  
حتى إذا لم يدع لى صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى  
وقال صاحب « الصبح المنبى » :

« ولم يسمع بديوان شعر في الجاهلية ولا في الإسلام شرح مثل الشروح  
الكثيرة لديوان المتنبي ولا تداول في السنة الأدباء في نظم ونثر أكثر من  
شعر المتنبي . »

وجاء في وفيات الأعيان :

« ولقد اطلع بعض قدامى الباحثين على أكثر من أربعين شرحاً له بين

مطولات ومختصرات وكان أبو العلاء المعري لا يذكر اسم المتنبي إلا مقرونا  
بلقب الشاعر تمييزاً له عن غيره وإكباراً لشأنه .

• • •

حقاً يا أبا الطيب ، ما قلته عن سيف الدولة وشاعره :  
لا تطلبن كريماً بعد روئيته إن الكرام بأسخاهم يد ختموا  
ولا تبال بشعر بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمد الصمم

• • •

هذا طرف من سيرة المتنبي وسريرته وذبوع أمره وعلو منزلته ، فهو  
أعظم شعراء العربية في رأى الكثيرين ، وأحد فطاحل الشعر العربى فى جميع  
الأزمان . . وإنك لتراه فى كل ناحية مبرزاً وفى كل مجال متفوقاً ، وقد سبق  
أقرانه ، وسبق زمانه فى خوضه لمعمعان الحرب جندياً شاعراً صادق النظرة  
باسل الفكرة حتى أنه لم يدع تقليداً محموداً دون أن ينبه إليه ولا مبدأ أصيلاً  
غاب عن قصيده ، فإذا راجعت نظرات المتنبي فى الجنديّة والحرب أدركت  
طرفاً من عبقرية هذا الشاعر الخالد الذى تنبأ فعلاً ، وصح تنبؤه فى قوله :

إن هذا الشعر فى الشعر ملك سار فهو الشمس والدنيا فلك

## المتنبى .. والجنديّة والحرب

صهبت المتنبى عدة سنوات أستجلى جوامع كلمه وأستعيد روائع نظمه وأردد طرائفه وحكمه ، وأجول معه فى جميع نواحي القريض فيملك على مشاعرى ويستحوذ على تقديرى وإعجابى ، ثم أتقل مع المؤرخين له بين حساد ونقاد ومادحين ومؤيدين . . وقد هالنى أن تكتب عنه ، فى خلال ألف سنة ونيف ، عشرات الكتب ومئات الفصول والمقالات دون أن يظفر فن الحرب بحديث خاص ، وهو الجنديّ الشاعر الذى قال فى الحرب ثمانى عشرة قصيدة تحوى على سبعمائة وسبعين بيتاً من جيد الشعر ونادره . .

وقصائد المتنبى فى الجنديّة والحرب تعتبر قمة لا يبلغ معانيها ولا يقف على أعاليها إلا قائد محنك نافذ النظرة واسع الحيلة ، فقد اشتملت على جماع مبادئ الحرب التى تدرسها المعاهد والأكاديميات العسكرية فى عالمنا الحاضر وتضمنت آراء عسكرية صائبة واشتملت على جملة الآداب والتقاليد التى تحكم الجنديّة وتجعلها مهنة الشرف والواجب والتضحية .

\* \* \*

## الاستعداد للحرب

يرى المتنبي أن طبيعة الحياة تقتضى الاستعداد ، فمعركة البقاء للأصلح معركة مستمرة تتشكل فى صور شتى ، منها الحرب ، فالويل للمغلوب والفرحة للمتصر حكمة قديمة جديدة ملازمة . .

إنما أنفس الأنيس سباع يفارسن جهرة واغتيالاً  
من أطاق التماس شئ غلاباً واغتصاباً لم يلتمسه سـؤالاً  
حقيقة أبدية ، لم تمتد إليها يد التعيير على الرغم من التبدل العظيم فى جميع خطوات الحضارة والمدنية ، فالناس يقتتلون فعلاً ، أفراداً أو جماعات ، فى السلم أو فى الحرب ، سرّاً أو جهراً ، ولهذا فلا بد من الاستعداد ، ولا ضير بعد ذلك من التفاهم . . وإنك لتطلب الشئ ، وليكن حقلك فيه واضحاً لا يختلف فيه اثنان ، ولكنك لا تبلغه - فى عرف المتنبي - ما لم تكن قوياً ، وإن الدولة لتنال الخوية - جبراً على الورق - ما لم تكن هى مستحقة الحرية فعلاً بما تكون عليه من قوة ورقى ورخاء . .

إن حجر الأساس فى بنية الدولة هو قوتها ، وعمادها هو جيشها .  
أعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطعن عند محبين كالقيل

• • •

من اقتضى بسوى الهندى حاجته أجاب كل سؤال عن هل بلم

•••

إن السلام هو أمل كل فرد وجماعة وأمة ، ولا أحد يجب الحرب ولكن لا سبيل إلى السلام إلا سبيل القوة . لا تستطيع أن تتضمن سلامة وطنك ولا تطمئن إلى وعود أو اتفاقات إلا إذا كانت السهام مشلودة على أقواسها ، فليس ينجى الوطن من الأعداء المتربصين به إلا قوة الاستعداد .

وما تركوك معصية ولكن يعاف الورد والموت السراب وإنك تحب السلم ولكنك لا تستطيع على حساب بلادك وحرمتها أن تخشى الحرب ، فحبك للسلم هو حب للسلام لا للاستلام .

لست ممن يغره حبك السلم وأن لا ترى شهود القتال وإذن ، ففي هذا العالم المضطرب الذى تدور شئونه حول محور القوة والمنعة اجعل السلم غايتك وليكن أساس السلم جيشاً منيعاً ، فإذا بدرت من العدو بادرة قت إليه موفور الثقة كامل العدة . . لا تطمئن لغير قوتك .  
أجر الجياد على ما كنت مجربها وخذ بنفسك فى أخلاقك الأول

•••

كيف لا تأمن العراق ومصر وسراياك دونها والخيول

•••

إن أقصى أمنية تبلغها البلاد ، بل غاية الغايات هو أن تعيش فى حرية وأمن تحت ظلال جيش وطنى قوى ، تسلم من يسالمها وتعادى من يعادىها .

•••

الحق أبلج والسيوف عوارى فحذار من أسد العرين حذار

يعود من كل فتح غير مفتخر      وقد أغذ إليه غير محتفل  
وكم رجال بلا أرض لكثرتهم      تركت جمعهم أرضاً بلا رجل

• • •

عفا عنهم وأعتقهم صفاراً      وفي أعناق أكثرهم سخاب

• • •

تبيت وفودهم تسرى إليه      وجدواه الذي سالوا اغتفار  
فخلفهم برد البيض عنهم      وهامهم له معهم معار  
ولا يقف المتنبى عند حد وصف القائد العظيم وترديد صفاته وميزاته  
بل يذكر لك أيضاً القائد الذي وضعت الأقدار عفواً - أو خطأ في مركز  
القيادة ، فتراه لا يحس بحقيقة رسالته ولا يعد نفسه جيداً لأداء مهمته ،  
بل يقنع من القيادة بمظاهرها ونعائها وتكون النتيجة وبالاعلى جيشه  
وبلاده .

ما الذي عنده تدار المنايا      كالذي عنده تدار الشمول

• • •

وجيش أمام على ناقة      كثير الإمامة في الباطل  
أما القائد غير المطبوع فإنه لا يقوى على المعركة . وسرعان ما تحدته  
نفسه بالسلامة فيضعف أمام الأحداث ويجر على جيشه الكارثة :  
سراياك تترى والدمستق هارب      وأصحابه قتلى وأمواله نهبي  
أتى مرعشاً يستقرب البعد مقبلاً      وأدبر إذ أقبلت يستبعد القربا

كذا يترك الأعداء من يترك القنا  
وهل ردّ عنه باللقان وقوفه  
ولكنه ولّى ولطعن سورة  
وخلى العذارى والبطاريق والقرى  
أرى كلنا يبغى الحياة بسعيه  
فحب الجبان النفس أوردته التقى  
ويقفل من كانت هزيمته رعبا  
صدور العوالي والمطهمة الشهباء  
إذا ذكرتها نفسه لمس الجنباء  
وشعث أنصاري والقرابين والصلباء  
حريصاً عليها مستهاما بها حبا  
وحب الشجاع النفس أوردته الحربا

فهل هذا بقائد . . الذى تهتز نفسه وتطير شعاعاً عندما تستخدم المعركة ،  
هذا الذى يقدم على الحرب ويمضى إليها على غير استعداد وثقة فإذا ما جدّ  
جدها اكتفى من الغنيمة بالإياب وفرّ لا يلوى على شيء تاركاً رجاله ونساءه  
ومعتقداته ، وكأئماً - وهو القائد - يقول : أنا ، وبعدى الطوفان ! ؟

انظر الفرق بين هذا الدمستق الذى إذا تذكر الحرب لمس جنبه حشية  
أن تكون أصابته ضربة أو طعنة . . من سيف الدولة ؛ الذى خاض المعركة  
فى قلبها واندفع وراء خصومه حتى صار بمنأى عن جيشه .

ورائعها وحيد لم يرعه تباعد جيشه والمستجاش

وقد كان نابليون - عند ما يطلب توشيح قائد لأحد المواقع - يسأل :  
هل هو قائد موفق . وهو يقصد : هل هو قائد شجاع . وهذه الصفة  
تعتبر فى مقدمة مما يؤهل القائد لوظيفته :

وما الفرق ما بين الأنام وبينه إذا حذر المخدور واستصعب الصعبا

لأمر أعدته الخلافة للعدى وسمته دون العالم الصارم الغضبا

\*\*\*

إمام السكتية تزهى به مكان السنان من العامل

\*\*\*

فت ليالياً لا نوم فيها تحبّ بك المسومة العراب  
يهزّ الجيش حولك جانبيه كما فضت جناحها العقاب

وقد بلغ المتنبى الغاية ، ورفع إليها سيف الدولة . لما قال فيه ما لم يقل قالل  
في القائد العظيم :

ماضى الجنان يريه الخزم قبل غد بقلبه ما ترى عيناه بعد غد

\*\*\*

ولو لم أخف غير أعدائه عليه لبشرته بالخلود

\*\*\*

ولو جاز الخلود خلدت فردا ولكن ليس للدنيا خليل

\*\*\*

وكل يرى طرق الشجاعة والندى ولكن طبع النفس للنفس قائد  
نهب من الأرواح ما لو حويته لهنت الدنيا بأنك خالد

\*\*\*

إذا ما المعلمون رأوك قالوا بهذا يعلم الجيش اللهم

## الروح المعنوية

عرفنا ، أو على الأصح ، حدثنا المتنبي فيما تقدم بأهمية الجيش للبلاد وضرورة القائد الجيد للجيش ، ثم حدثنا عن أسلحة النصر ، وقدّم لنا سلاحاً لا يسيل الدم ولا يقتنص الأرواح ، سلاحاً يطلقون عايه اليوم : الروح المعنوية . وقد سبى المتنبي أصحاب النظريات بألف سنة حين قرر أهمية القوى المعنوية التي قال نابليون بأنها ثلاثة أمثال القوة المادية . .

انظر إلى الحقيقة العجيبة التي جادت بها قريحة المتنبي وهو يحدث عن الهزيمة قبل التقاء الأسلحة ، والتسليم قبل المعركة :

بعثوا الرعب في قلوب الأعدى فكأن القتال قبل التلاقي  
وتكاد الظبا لما عودوها تنتضي نفسها إلى الأعناق

\* \* \*

أبصروا الطعن في القلوب دراكاً قبل أن يبصروا الرماح خيالاً  
وإذا حاولت طعانك خيل أبصرت أذرع القنا أميالاً  
بسط الرعب في اليمين يمينا فتولوا وفي الشمال شمالاً  
ينفض الروع أيديا ليس تدرى أسيوفاً حملن أم أغلالاً

\* \* \*

فليس السلاح هو بيت القصيد ، ولكن روح الرجال الذين يحملون  
السلاح . . يجب أن نعد للحرب رجالاً وطنيين صادقين يعلمون حق بلادهم  
عليهم ويفهمون معنى الدفاع عن الوطن وحماية مقدساته ، فهم يندفعون إلى  
الحرب عن رغبة لا رهبة ، ويخوضون القتال لتحقيق غرض أسمى ينتصرون  
من أجله أو يموتون في سبيله . . هذه « الحاجة » التي في النفس هي أقوى  
سلاح وهي التي تدفع الجندي بحق وتثير فيه النعرة والحماسة لبلوغ المراد .  
وإذا افتقر القائد هذه « الحاجة » ولم تكن أساساً لتحركات الجنود فلا  
أمل في النصر إلا مصادفة ، ولا خير في الفوز مهما حقق من نتائج .

وظلّ الطعن في الخيلين خلّسا	كأن الموت بينهما اختصار
فلزّهم الطراد إلى قتال	أحد سلاحهم فيه الفرار
مضوا متسابقى الأعضاء فيه	لأرؤسهم بأرجلهم عثار
يروون الموت قدّاماً وخلفاً	فيختارون ، والموت اضطرار

• • •

فولتوا بين ذى روح مفات	وذى رمق وذى عقل مطاش
ومن قبل النطاح وقبل يأتى	تبين لك النعاج من الكباش

• • •

إذا ما سرت في آثار قوم	تخاذلت الجماجم والرقاب
ومن في كفه منهم قناة	كمن في كفه منهم خضاب

• • •

وبغير القوة المعنوية تصيح القوة المادية قليلة الأثر ، محدودة الفعل  
وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة .

لقد تحرك الروم بجيش كبير للعند وقصدوا قلعة لاحتلالها وإذلال أهلها  
فلما قام إليهم سيف الدولة ولاحت لهم الحرب الضروس ارتلوا على  
أعقابهم وأسلموا للفرار .

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزلا

\* \* \*

أنهم بأوسع من أرضهم	طوال السيب قصار العسب
تغيب الشواقي في جيشه	وتبدو صفارا إذا لم تغب
ففرق مدنهم بالجيوش	وأخفت أصواتهم باللجب
فأخبت به طالبا قهرهم	وأخبت به تاركا ما طلب
نأيت فقاتلهم باللقا	وجئت فقاتلهم بالحرب
وكانوا له الفخر لما أتى	وكنت له العذر لما ذهب
سبقت إليهم مناياهم	ومنفعة الغوث قبل العطب

\* \* \*

يرون من الذعر صوت الرياح سهيل الجياد ونخفق البنود

\* \* \*

أقلت إليك دماء الروم طاعتها فلو دعوت بلا ضرب أجاب دم

يسابق القتل فيهم كل حادثة      فا يصيبهم موت ولا هرم ؟!

\* \* \*

وربع له جيش العدو وما مشى      وجاشت له الحرب الضروس وما نغلى

\* \* \*

لو لم تكن تجرى على أسياقه      مهجاتهم بلحرت على إقباله

\* \* \*

لما رآته ونجس النصر مقبلة      والحرب غير عوان أسلموا الخللا  
وضاقت الأرض حتى كان هاربهم      إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

\* \* \*

قد تاب عنك شديد الخوف واصطنعت      لك المهابة ما لا تصنع بهم  
أكلما رمت جيشاً فائتني هرباً      تصرف بك في آثاره الهمم  
عليك هزمهمو في كل معترك      وما عليك بهم عار إذا انهزموا

## القتال الليلي

من مظاهر الحرب الحديثة أنها لم تعد تقتيد بضوء النهار ، بل أصبح أكثر العمليات الحربية يبيت بليل ، أو قل يشتد أوارها في حلقة الليل ، وقد كان يستأثر بإعجابنا - أثناء تتبعنا لسير الحرب العالمية الثانية - بعض الخطط والعمليات التي تمت في الليل ، فإذا ما أصبح الصبح كان النصر ثابت الراية ولكن لو رجعنا إلى تراثنا العربي لوجدنا أمجاداً عديدة في خطط الحرب ووسائلها ، ومن ذلك العمليات الليلية ، وقد كان الرسول الكريم يقول :

« ادرعوا الليل فإنه أخفى للويل »

أى أن الليل هو بمثابة درع لكى يخفى تحركاتهم عن العدو فيكيلون له الضربة القاصمة من حيث لا يحتسب .

والمتنبى يحدثنا عن العمليات الحربية في وقائع سيف الدولة . كان يشد ركابه في الليل وينهال على خصمه وهو غير متوقع فيطلع عليهم الصبح وقد انتهت المعركة بالهزيمة والتشريد والخسران .

رمىهم ببحر من حديد له في البر خلفهم عباب  
فأناهم وبسطهم حرير وصبحهم وبسطهم تراب

\* \* \*

إذا الليل دارانا أرتنا خفافها      بقدح الحصى ما لاترينا المشاعل  
ألا ليست الحاجات إلا نفوسكم      وليس لنا إلا السيوف وسائل  
أى أن سيف الدولة كان يدفع قواته إلى المعركة ليلاً ، فيستعيز عن  
المشاعل - إمعاناً في الإخفاء - بقدح الحصى الذى يحدث من ارتطامها  
بحوافر الخيل ، وهو تشبيه رائع على ما فيه من مبالغة .  
أما اليوم فيخططون للقتال الليلي بالاستطلاع ورسم محلات التجمع  
وخطوط التقدم ويستعينون بالقمر الصناعى .

ورميك الليل بالجنود وقد رميت أجفانهم بتسييد  
أى أنهم يظنون فى قلق وحيرة من اتجاه خططك ومسرح عملياتك  
فيسهرون الليل فى قلق وسهد . . وأنت كقائد محنك تنتظر حتى تهب سحابة  
تحجب أضواء النجوم فيصبح الليل كالحأ شديد الظلمة فتعطى إشارة الهجوم  
وتتبر الغبار إمعاناً فى حجب الأضواء .

كان نجوم الليل خافت مغارة      فدّت عليها من عجاجته حجبا

\* \* \*

يغير ألوان الليالى على العدوى      بمنشورة الرايات منصوره الجند  
إذا ارتقبوا صباحاً رأوا قبل ضوئه      كئائب لا يردى الصباح كما تردى  
ومبثوثة لا تتقى بطليعة      ولا يحتمى منها بغور ولا نجد

\* \* \*

## الحرب الخاطفة

عندما شنت ألمانيا حربها الهجومية على الميدان الغربي في شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩ واندفعت طياراتها ودباباتها تلك الاندفاع الرهيبه فاخرقت الحصون وقوضت الاستحكامات وأدالت الدول . . وصف بعض المراقبين الحريين هذا الحرب بأنها حرب البرق « بليتز كريبج » أى الحرب الخاطفة لشدة قضاء الأسلحة وسرعة عربات القتال .

والحرب هي هي ، على الرغم من اختلاف أسلحتها ، لاختلف مبادئها الأصيلة إلا لماماً ، ولو عدنا إلى تاريخنا الحربي لوجدنا الحرب الخاطفة تحدث بأروع صور القتال وأكثرها سرعة وأشدّها فتكا .

كان أعداء سيف الدولة يربصون به النواثر ويبيتون له بليل ، ولكنه لم يكن غافلاً ، وكان دائماً مستعداً ، فإذا ما لاحت بادرة أسرع إلى إخمادها بقوة حاسمة واستعدادات متوفرة .

فرس سابق ورمح طويل ودلاص زحف وسيف صقيل  
كلما صبّحت ديار عدو قال تلك الغيوث هذى السيول  
دهمته تطاير الزرد المحكم عنه كما يطير النسيل  
وهو يدفع أمام قواته مقدمة بمثابة رأس الحرب ، كالمقدمة التي نعرفها

اليوم في الجيوش الحديثة وتكون لها الأسلحة التي تعينها على مهمتها وتحقق أهدافها إلى أن تصل القوة الرئيسية . . . وكثيراً ما كانت هذه المقدمة كافية لصدم الأعداء وإخبارهم بما ينتظرهم من هلاك فيتفرقون أيدي سباً وتطير نفوسهم شعاعاً .

تقنص الخيل خيلة قنص الو حش ويستأثر الخميس الرعيل

\* \* \*

حذاراً لمعروري الجياد فجاءة إلى الطعن قبلاً ما لهن لجام

\* \* \*

تهب في ظهرها كتائبه هبوب أرواحها المراويد  
ومن هذا نرى أن سيف الدولة كان على أهبة الاستعداد دائماً للدرء  
العدوان ، فإذا قام للحرب أخذ بأسلوب الحرب الخاطفة اختصاراً  
للإجراءات وتوفيراً للجهود وحقناً للدماء وحسماً للمعركة حتى أنه - على  
حد قول المتنبي - لا تحتاج خيله إلى سروج ولجام لأنها جيدة التدريب ،  
ولأن الموقف يحتاج إلى سرعة قبل أن يتقدم العدو ويعظم الخطر .

قاد المقانب أقصى شربها نهل على الشكيم وأدنى سيرها سرع  
لا يعتنى بلد مسراه عن بلد كالموت ليس له رى ولا شبع  
وإذا حدث عدوان قام سيف الدولة على الفور ، وبكامل الاستعداد ،  
فصدم الشر وأنهى المعركة بسرعة وقوة وحزم .

كلما أعجلوا النذير يسيرا أعجلته جياده الأعجالا

فأتهم خوارق الأرض ما نحمّل إلا الحديد والأبطال

• • •

فما شعروا حتى رأوها مغيرة قباحاً وأما خلقها فجميل  
سحائب يمتطون الحديد عليهم فكل مكان بالسيوف غسيل

• • •

فلبيته بك في جحفل له ضامن وبه كامل  
خرجن من النقع في عارض ومن عرق الركض في وابل  
وجيش إمام على ناقة صحيح الإمامة في الباطل  
فأقبلن ينخرن قدامه نوافر كالنحل والعاسل  
فلما بدوت لأصحابه رأيت أسدها آكل الآكل

• • •

طلعن عليهم طلعة يعرفونها لها غرر ما تنقضي وحجول

• • •

رمى حلباً بنواصي الخيول وسمر يُرَقن دماً في الصعيد  
وبيض مسافرة ما يُقْمَن لآ في الرقاب ولا في الغمور  
يقدن الفناء غداة اللقاء إلى كل جيش كثير العديد  
فولتي بأشباعه الخرشني كشاء أحسن بزأر الأسود

• • •

وماذا تكون الحرب الخاطفة، وكيف يكون وصفها أحق وأدق من قول المتنبي :  
رمى اللرب بالجرد الجياد إلى العدا وما علموا أن السهام خيول

## التدريب للحرب

تتدرب الجيوش في السلم لكي تخوض الحرب بكفاءة وتحصل على النصر بجدارة ، وبقدر ما يكون النجاح في التدريب يكون النجاح في العمليات ولهذا أخذت الجيوش بمبدأ التدريب القائل بأن العرق يوفر الدم .

ولكن نظرية التدريب تختلف من جيش إلى آخر ومن قائد إلى قائد ، واشتغل الفكر العسكري بهذا الموضوع فجاء بالجديد والمثير من أنواع التدريب ووسائله ومساعداته وتطورت هذه المحاولات حتى وصلت بالتدريب إلى المناورة، وهي قيام عملية بين قسمين من الجيش لها جميع مظاهر العمليات الحربية ، فتكون ثمة مباراة يخرج الطرفان منها بدروس وملاحظات لها قيمتها .

وآخر ما وصل إليه فن التدريب هو استخدام الأسلحة والذخيرة الحية في المناورات ، وبذلك يتدرب الجنود تدريباً محلياً واقعياً في ظروف تشبه ظروف الحرب من أكثر الوجوه .

وقد سبق المتنبئ فألمح أكثر من مرة إلى أهمية التدريب الجيد ، بل إنه وصل بتطورات التدريب إلى أن المعركة هي أحسن أنواع التدريب ، وقال أن كفاءة جيوش سيف الدولة ترجع إلى كثرة تجاربها وخبراتها ، فالجنود

يتدربون والخيال تتدرب والأسلحة هي الأخرى بدورها أصبحت تتجه  
إلى رقاب العدو من كثرة ما اعتادت ! ؟

قاد الجياد إلى الطعان ولم يقدر إلا إلى العادات والأوطان  
إن خلقت ربطت بأداب الوعى ولدعاؤها بغنى عن الأرسان  
في جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان  
يرمى بها البلد البعيد مظفر كل البعيد له قريب دان

\* \* \*

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهون ما يمر به الوحول  
ومن أمر الحصون فما عصته أطاعته الحزونة والسهول  
انظر إلى نتيجة التدريب الجيد : تصبح الحرب عادة فلا رهبة ولا توقي  
ولا تقاعس وإنما اندفاع إلى الحومة وتزال وانتصار .

وإذا كان خير اختبار للجندى هو نتيجته في ضرب النار ، فإن هذه  
الحقيقة لم تخف عن المتنبي فهو يقول :

وهل يخطى بأسهمه الرمايا وما يخطى بما ظن الغيوباً  
إذا نكست كنانته استبنا بأنصلها لأنصلها ندوبا  
يصيب ببعضها أفواق بعض فلولا الكسر لاتصلت قضيباً

\* \* \*

إن الجيش لم يقعد عن التدريب والمناورة والحرب ، فلم يطل به عهد  
للسلم والدعة والرفه وبذلك يبقى دائماً مستعداً مستزيداً كامل الأهبة كثير  
المراتة ، آخذاً بخير مبادئ الحرب وهي الهجوم :

واشقى بلاد الله ما لروم أهلها      وجفن الذى خلف الفرنجة ساهد  
شنت بها الغارات حتى تركها      وإن لم يكونوا ساجدين مساجد  
تنكسهم والسابقات جبالهم      وتطعن فيهم والرماح مكاييد  
وتضحى الحصون المشمخرات فى الذرى      وخيلك فى أعناقهم قلائد

° ° °

وأدبها طول القتال فطرفه      يشير إليها من بعيد فتفهم  
لها فى الوغى زى الفوارس فوقها      فكل حصان دارع متلثم  
وما ذاك بخلا بالنفوس على القنا      ولكن صدم الشر بالشر أحزم

° ° °

ومثل هذا الجيش المستعد يحسب الأعدى حسابه ويقنرون خطره ،  
فلا سبيل لنجاتهم منه ومفاداتهم له سوى أن يكون بين الفريقين هدنة  
أو سلام يسعون إليه ويأملون فيه بعد طول الحرب والخسران .

دروع ملك الروم هذى الرسائل      يرد بها عن نفسه ويشاغل  
هى الزرد الضافى عليه ولفظها      عليك ثناء سابغ وفضائل  
وأنى أهتدى هذا الرسول بأرضه      وما سكنت مذسرت فيها القساطل  
ومن أى ماء كان يسقى جواده      ولم تصف من مزج الدماء المناهل

## مبادئ الحرب

إن مبادئ الحرب التي وضعها نابليون ، وما زالت إلى اليوم نبراساً يهتدى به رجال الجندية ، قد جرت قبله على لسان المتنبي ، وطبقها في حروبه سيف الدولة بن حمدان قبل ألف سنة ونيف .

هذه المبادئ هي :

- الحشد
- خفة الحركة
- الاقتصاد في القوة
- الرقاية
- المفاجأة
- التعاون
- القتال التعرضي (الهجوم)
- الروح المعنوية

وقد أوضح المتنبي هدف القتال ، الهدف الذي تتجه إليه القوات ، والمحافظة عليه ، وعدم التحول عنه . وقد كان الغرض - كما رآه المتنبي - القضاء على القوة الرئيسية للعدو :

ألا ليست الغايات إلا نفوسكم وليست لنا إلا السيوف وسائل  
وكان الغرض في ذات مرة قلعة « الحدث » ، فقد بناها سيف النولة ،  
فأقلت للروم وقصلوا إلى تدميرها ، فسبقهم إليها وشتت جمعهم  
وأطار صوابهم .

كلما أعجلوا النذير مسيراً أعجلته جياده الأعجالا  
فأنتهم خوارق الأرض ما تحمّل إلا الحديد والأبطالا  
قصدا هدم سورها فبنوه وأتوا كي يقصروه فطالا  
أما الحشد فهو تجميع أكبر قوات ممكنة في المكان والساعة الحاسمة  
للفصل في المعركة بقوة وسرعة .

همام إذا ما همّ أفضى همومه بأرعن وطء الموت فيه ثقيل  
ونخيل براها الركض في كل بلدة إذا عرست فيها فليس ثقيل  
فلما تجلى من دلوك وصنجة علت كل طود راية ورعيل  
فما شعروا حتى رأوها مغيرة قباحاً وأما خلقها فجميل  
سحائب يمطرن الحديد عليهم فكل مكان بالسيوف غسيل  
والمقصود من مبدأ خفة الحركة هو سرعة الانتقال إلى أرض المعركة  
الحاسمة قبل وصول العدو إليها أو تحقيق الغرض قبل أن يحول العدو دونه  
قاد المقانب أقصى شربها نهل على الشكيم وأدنى سيرها سرع

\* \* \*

سبقت إليهم منايهم ومنفعة الغوث قبل العطب

\* \* \*

فرس سابق ورمح طويل ودلاص زحف وسيف صقيل  
كلما صبحت ديار عدو قال تلك الغيوث هذى السيول

\* \* \*

والاقتصاد في القوة مبدأ يقصد به بذل الجهود المناسب لكسب الموقعة ،  
فالقائد المحنك يقدر الموقف تقديراً صحيحاً ويبعث إلى الغرض المطلوب  
بالقوة الكفيلة بالدفاع عنه أو الحصول عليه ، وبذلك لا يبعثر قواته  
بغير حساب .

وقد كان سيف الدولة يبعث بمقدمه أمام جيشه ، وقد تنجح هذه المقدمة  
في مهمتها وتعنى الجيش كله من أعباء المعركة .

تقنص الخيل خيله قنص الوحش ويستأثر الحميس الرعيل

\* \* \*

والمفاجأة هي عمل الشيء الذي لا يتوقعه العدو ، ولو خلت الحرب  
من المفاجأة لأصبح المجد الحربي في استطاعة القادة العاديين ، وتأتى الضربة  
الحاسمة غالباً من هجوم على موقع لا يتوقعه العدو ، ووقت ليس  
في حسبانته :

فما شعروا حتى رأوها مغيرة قباحاً وأما خلقها فجميل

\* \* \*

حذاراً لمعرورى الجياد فجاءة إلى الطعن قبلا ما لمن لجام

\* \* \*

وعادت فظنوها بموزار قفلاً وليس لها إلا الدخول قفول  
فخاضت نجيع الجمع خوفاً كأنه بكل نجيع لم تخضه كفيل  
وكرت فرت في دماء ملطية ملطية أم للبنين ثكول

\* \* \*

والقتال التعرضى أو العمليات الهجومية هي مبدأ النصر ، مهما كان  
الجيش محمياً في مواقعه قادراً على الدفاع فإنه لا يحصل على الغرض ، وإنما  
الحصول على الغرض يقتضى الأخذ بروح الهجوم .

أنت طول الحياة للروم غاز ففى الوعد أن يكون القفول

\* \* \*

أكلما رمت جيشاً فانشى هرباً تصرفت به فى آثاره الهمم

\* \* \*

فلما بدوت لأصحابه رأت أسدها آكل الأكل  
بضرب يعمهمو جائر له فيهم قسمة العادل

\* \* \*

وأخيراً ، الروح المعنوية ، أحدث مبادئ الحرب وأقدمها فقد أخبر  
المتنبى فى الحديث عنها والاحتفال بها ، وجعلها من دعائم النصر ، وقد  
أفردنا لها فصلاً خاصاً فى هذه الدراسة .

## وصف المعركة

يعتبر شعر المتنبي - بصفة عامة - فائقاً في الجودة ، عامراً بالخيال والجمال وقد اعتبر المؤرخين له والذين شرحوا دواوينه أن قصائده في الحروب تعتبر من أجود قصائده ، ولعلمهم قصدوا إلى أنها بارعة الأداء بادية الجودة رائعة الصياغة ، ولكن الذي لم يتنبه إليه أحد هو ما اجتمع لهذه القصائد من حقائق حربية ونظريات ومبادئ وخطط لا تخطر بغير بال القائد الكبير ، فالمتنبي فهم الحرب وعاش في عمارها وتفاعل مع أحداثها فلما قصد إلى تسجيلها قال قول العارف المحرب ، وعبر عن مشاعر المحارب ووصف وصف شاهد العيان .

وفي مقدمة قصائده في وصف الحروب ، اللامية المشهورة التي سجل بها زحف سيف الدولة في أرض الروم ، وقاتله إياهم في حران ولوك وصنجه وموزار وملطية وغيرها من الحصون والقلاع التي استسلمت له ، وهي قصيدة من ٦٦ بيتاً مطلعها :

ليالى بعد الظاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل  
وفيها يقول :

رمى الدرب بالجود الجياد إلى العدا وما علموا أن السهام خيول

شوائل تشوال العقارب بالقنا  
وما هي إلا خطرة عرضت له  
همام إذا ما هم أمضى همومه  
وخيل براها الركض في كل بلدة  
فلما تجلى من دلوك وصنجة  
على طرق فيها على الطرق رفعة  
فما شعروا حتى رأوها مغيرة  
سحاب يطرن الحديد عليهم  
وأسمى السبايا ينتحبن بحرقه  
وعادت فظنوها بموزار قفلاً  
فخاضت نجيع الجمع خوضاً كأنه  
تسايرها النيران في كل مسلك  
وكرت فمّرت في دماء ملطية  
وأضعفن ما كلفنه من قباقب  
ورعن بنا قلب الفرات كأنما  
يطارد فيه موجه كل سابح  
تراه كأن الماء مرّ بجسمه  
وفي بطن هنزيط وسمنين للظبا

لها مرح من تحتها وصهيل  
بحرّان لبثها قنا ونصول  
بأرعن وطء الموت فيه ثقيل  
إذا عرّست فيها فليس ثقيل  
علت كل طود راية ورعيل  
وفي ذكرها عند الأنيس خمول  
قباحاً وأما خلتها فجميل  
فكل مكان بالسيوف غسيل  
كأن جيوب الناكلات ذبول  
وليس لها إلا الدخول قفول  
بكل نجيع لم تخضه كفيل  
به القوم صرعى والديار طول  
ملطية أم للبنين ثكول  
فأضحى كأن الماء فيه عليل  
تخرّ عليه بالرجال سيول  
سواء عليه نعرة ومسيل  
وأقبل رأس وحده وتليل  
وصم القنا ممن أبدن بدليل

طلعن عليهم طلعة يعرفونها لها غرر ما تنقضي وحجول

. . .

تمل الحصون الشم طوال نزالنا  
وبتن بحصن الران رزحي من الوجي  
وفي كل نفس ما خلاه ملالة  
ودون سميساط المطاميرُ والملا  
لبسن الدجى فيها إلى أرض مرعش  
فلما رأوه وحده قبل جيشه  
وأن رماح انلظ عنه قصيرة  
فأوردتهم صدر الحصان وسيفه  
جواد على العلات بالمال كاه  
فودع قتلام وشيع فلهم  
على قلب قسطنطين منه تعجب  
لعلك يوماً يا دمستق عائد  
نجوت بإحدى مهجتيك جريجة  
أنسلم للخطية ابنك هاربا  
بوجهك ما أنساكه من مُرشة  
أغرکم طول الجيوش وعرضها  
إذا لم تكن لليث إلا فريسة

فتلقى إلينا أهلها وتزول  
وكل عزيز للأمير ذليل  
وفي كل سيف ما خلاه فلول  
وأودية مجهولة ومجول  
وللروم خطب في البلاد جليل  
دروا أن كل العالمين فضول  
وأن حديد الهند عنه كليل  
فتى بأسه مثل العطاء جزيل  
ولكنه بالدارعين بخيل  
بضرب حُزون البيض فيه سهول  
وإن كان في ساقيه من كبول  
فكم هارب مما إليه يؤول  
وخلفت إحدى مهجتيك تسيل  
ويسكن في الدنيا إليك خليل  
نصيرك منها رنة وعويل  
على شروب للجيوش أكل  
غذاه ولم ينفعك أنك فيل

إذا الطعن لم تدخلك فيه شجاعة      هي الطعن لم يدخلك فيه عدول  
فإن تكن الأيام أبصرن صولة      فقد علم الأيام كيف تصول

• • •

وسجل المتنبي في قصيدة ميمية رائعة ذات ٤٦ بيت - زحف سيف  
الدولة نحو ثغر « الحدث » وكان أهلها قد سلموه بالأمان إلى « الدمستق »  
ملك الروم ، فزها سيف الدولة في جمادى الآخرة سنة ٣٤٣ ، وتنازله  
الدمستق في ٥٠ ألف فارس من جموع الروم والأرمن والبلغر والصقلب ،  
وانتهت المعركة بانتصار سيف الدولة وتأمين الحدث :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم	وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها	وتصغر في عين العظيم العظائم
يكلّف سيف الدولة الجيش همّة	وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه	وذلك ما لا تدعيه الضراغم
يُفدَى أتم الطير عمرا سلاحه	نسور الملا أحداثها والقشاعم
وما ضرّها خلق بغير مخالب	وقد خلقت أسيافه والقوائم
هل الحدث الحمراء تعرف لونها	وتعلم أي الساقين الغمام
سقتها الغمام الغرّ قبل نزوله	فلما دنا منها سقتها الجماجم
بناها فأعلى والقنا تفرع القنا	وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت	ومن جثث القتلى عليها تمام
طريدة دهر ساقها فرددتها	على الدين بالخطى والدهر راغم

وهن لما يأخذن منك خوارم  
مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم  
وذا الطعن أساس لها ودعائم  
فما مات مظلوم ولا عاش ظالم

تفت الليالي كل شيء أخذته  
إذا كان ما تنويه فعلا مضارحاً  
وكيف ترجى الروم والروس هدمها  
وقد حاكموها والمنايا حواكم

\* \* \*

سروا بجياد ما هن قوائم  
ثيابهم من مثلها والعمائم  
وفى إذن الجوزاء منه زمام  
فما تفهم الحداث إلا التراجم  
فلم يبق إلا صارم أو ضبارم  
وفر من الفرسان من لا يصارم

أتوك يحرون الحديد كأنهم  
إذا برقوا لم تعرف البيض منهم  
خيس يشرق الأرض والغرب زحفه  
تجمع فيه كل لسن وأمة  
فله وقت ذوب الغش ناره  
تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا

\* \* \*

كأنك فى جفن الردى وهو نائم  
ووجهك وضاح وثغرك باسم  
إلى قول قوم أنت بالغيب عالم  
تموت الخوافى تحتها والقوادم  
وصار إلى اللبات والنصر قادم  
وحتى كأن السيف للرمح شاتم  
مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

وقفت وما فى الموت شك لواقف  
تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة  
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى  
ضممت جناحهم على القلب ضمة  
بضرب أنى الهامات والنصر غائب  
حقرت الردينيات حتى طرحتها  
ومن طلب الفتح الجليل فلإنما

كما نثرت فوق العروس للدرهم  
وقد كثرت حول الوكور المطاعم  
بأمانتها وهي الصاق الصلادم  
كما تمشى في الصعيد الأراقم  
قفاه على الأقدام للوجه لأثم  
وقد عرقت ريح الليوث البهائم  
وبالصهر حملات الأمير الغواشم  
بما شغلتها هامهم والمعاصم  
على أن أصوات السيوف أعاجم  
ولكن مغنوماً نجاً منك غام  
ولكنك التوحيد للشرك هازم  
وتفتخر الدنيا به لا العواصم

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة  
تلوس بك الخيل الوكور على اللرى  
تظن فراخ النسر أنك زرتها  
إذا زلقت مشيتها ببطونها  
أفى كل يومن ذا الدمستق مقدم  
أينكر ريح الليث حتى يذوقه  
وقد نجعته بابنه وابن صهره  
مضى يشكر الأصحاب في فوته الظبا  
ويفهم صوت المشرفية فيهم  
يسرّ بما أعطاك لا عن جهالة  
ولست مليكا هازما لنظيره  
تشرّف عدناناً به لا ربيعة

فإنك معطيه وإنى ناظم  
فلا أنا مذموم ولا أنت نادم  
وقعت في مسمعيه الغناغم  
ولا فيك مرتاب ولا منك عاصم  
وراجيك والإسلام أنك سالم  
وتفليقه هام العدا بك دائم

لك الحمد في الدور الذى له لفظه  
وإنى لتعدو بنى عطاياك فى الوغى  
على كل طيار إليها برجله  
ألا أيها السيف الذى ليس مغمدا  
هنيئاً لضرب إلهام والمجد والعلا  
وليم لا يبق الرحمن حدّيك ما وقى

ووصف المتنبي معركة أخرى بين الروم والمسلمين ، بدأت بهجوم  
«الدمستق» على حصن «الحدث» وأخذهم في عمل استحكات ومكايد ، وقد  
جمع الـدمستق في هذه العملية جيشاً عرمرماً ضمّ خليطاً من الجنود البلغر  
والروس والصقالب ، فما أقبل سيف الدولة على الحدث حتى قفل الروم  
مرتدين عنها إلى حصن «رعبان» .

ذى المعالى فليعلون من تعالى هكذا هكذا وإلا فلالا  
شرف ينطح النجوم بروقيه وعزّ يقلقل الأجيالا  
حال أعدائنا عظيم وسيف الدولة ابن السيوف أعظم حالا  
كلما أعجلوا النذير مسيراً أعجلته جياده الإعجالا  
فأنهم خوارق الأرض ماتحه ل إلا الحديد والأبطالا  
خافيات الألوان قد نسج النقة مع عليها براقعاً وجلالا  
خالفته صدورها والعوائى ليخوضن دونه الأهوالا  
ولتمضنّ حيث لا يجد الرم ح مداراً ولا الحصان مجالا  
لا ألوم بن لاون ملك الروم وإن كان ما تمى محالا  
أقلقتة بنيسة بين أذنيه ه وبان بغى السماء فنالا  
كلما رام حطها اتسع الب نى فغطى جبينه والقذالا  
يجمع الروم والصقالب والبلغ ر فيها وتجمع الآجالا  
وتوافقهمو بها فى القنا السم ر كما وافت العطاش الصلالا  
قصدوا هدم سورها فبنوه وأنوا كى يقصروه فطالا  
واستجروا مكايد الحرب حتى تركوها لها عليهم وبالا

• • •

ربّ أمر أتاك لا تحمد الفُعّال فيه وتحمد الأفعالا  
 وقسى رميت عنها فردت في قلوب الرماة عنك النصالا  
 أخذوا الطرق يقطعون بها الرسل فكان إقطاعها إرسالا  
 وهم البحر ذو الغوارب إلا أنه صار عند بحرك آلا  
 ما مضوا لم يقاتلوك ولكن القتال الذي كفاك القتالا  
 والذي قطع الرقاب من الضر ب بكفيك قطع الآمالا  
 والثبات الذي أجادوا قديما علم الثابتين ذا الأجمالا  
 نزلوا في مصارع عرفوها يندبون الأعمام والأخوالا  
 تحمل الريح بينهم شعر اله ام وتذرى عليهم الأوصالا  
 تنذر الجسم أن يقيم لديها وتريه لكل عضو مثالا

\* \* \*

أبصروا الطعن في القلوب دراكا قبل أن يبصروا الرماح خيالا  
 وإذا حاولت طعانك خيل أبصرت أذرع القنا أميالا  
 بسط الرعب في القلوب يمينا فتولوا وفي الشمال شمالا  
 ينفض الروع أيديا ليس تدرى أسيوفا حملن أم أغلالا  
 ووجوها أخافها منك وجه تركت حسنها له والجمالا  
 والعيان الجلى يحدث للظن زوالا وللمراد انتقالا  
 وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا  
 أقسموا لا رأوك إلا بقلب طالما غرت العيونُ الرجالا  
 أى عين تأملتك فلاقتك وطرف رنا إليك فالأ

ما يهلك العين في أخذك الجيش      فهل يبعث الجيوش نوالا  
 ما لمن ينصب الخبائل في الأر      ض ومرجاه أن يصيد الهللا  
 إن دون التي على الدرب والأحد      ب والنهر مُخلطا مزيلا  
 غضب الدهر والملوك عليها      فبناها في وجنة الدهر خالا  
 فهي تمشي مشى العروس اختيالا      وتثنى على الزمان دلالا  
 وحماها بكل مطرد الأكسب      جور الزمان والأوجالا  
 في خميس من الأسود بئيس      يفرسن النفوس والأموالا  
 وظبا تعرف الحرام من الحل      فقد أفنت الدماء حللا

• • •

إنما أنفس الأنيس سباع      يتفارسن جهرة واغتيالا  
 من أطاق التماس شيء غلابا      واغتصابا لم يلتمسه سؤالا  
 كل غاد لحاجة يتمنى      أن يكون الغضنفر الرقبالا

وهكذا قصائد المتنبي في الحرب ، تراه مجليا لا غالب له في هذا  
 المعترك وهو بحق كما جاء وصفه في « الصبح المنبي » :

. . . فإذا وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من  
 أبطاها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى يظن أن الفريقين قد تقابلا  
 والسلاحين قد تواصلوا . فطريقه في ذلك يفضل بسالكه ويقوم بعذر تاركه .  
 ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة ، فيصف لسانه ما أراه  
 عيانه . . .

# حكم وأمثال من شعر المتنبي

## في الجندية والحرب

من أطاق التماس شيء غلابا واقتساراً لم يلتمسه سؤالا

• • •

أعلى الممالك ما يبني على الأسل والطعن عند محيبن كالقبل

• • •

من اقتضى بسوى الهندي حاجته أجاب كل سؤال عن هل يلتم

• • •

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرام كرام

• • •

إذ كنت في شك من السيف فابله فلما تنفيه وإما تعده  
وما الصارم الهندي إلا كغيره إذا لم يفارقه النجاد ونعمده

• • •

وما ذلك بـُخلاً بالنفوس على القنا ولكن صدم الشر بالشر أحزم

• • •

ووضع الندى في موضع السيف بالعلی مَضْرِبِ كَوْضَعِ السيفِ في موضع الندى

• • •

ذريني أنل ما لا ينال من العلاء

فصعب العلاء في الصعب والسهل في السهل

تريدين لقيان المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل

• • •

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان

ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأى قبل تطاعن الأقران

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

• • •

نهب من الأعمار ما لو حويته لهنت الدنيا بأنك خالد

• • •

في جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان

• • •

دع النفس تأخذ وسعها قبل بينها ففترق جاران دارهما العمر

ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

وتضرب أعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر

• • •

فسوتى فى الوغى أربى لأنى رأيت العيش فى أرب النفوس

\* \* \*

إن السلاح جميع الناس تحمله وليس كل ذوات الخلب السبع

\* \* \*

ومن يجعل الضرغام بازاً لصيده تصيده الضرغام فيما تصيدا

\* \* \*

أعزّ مكان فى الدنى سرج سابع وخير جليس فى الزمان كتاب

\* \* \*

لكل امرئ من دهره ما تعودا

وعادة سيف الدولة الضرب فى العدا

\* \* \*

فقد يظن شجاعاً من به خرق وقد يظن جباناً من به زمع

\* \* \*

إذا اعتاد الفتى خوضه المنايا فأهون ما يمر به الوحول

ومن أمر الحصون فما عصته أطاعته الخزونة والسهول

\* \* \*

لا أكسب الذكر إلا من مضاربه أو من سنان أصم الكعب معتدل

\* \* \*

أبصروا للطعن في القلوب دراكا قبل أن يبصروا الرماح خيالاً

\* \* \*

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزال

\* \* \*

ما الذي عنده تدار المنايا كالذي عنده تدار الشمول

\* \* \*

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهوناً ثم  
تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم  
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهي إلى قول قوم أنت بالغيب عالم

\* \* \*

سحاب من العقبان يسبح تحتها سحاب إذا استسقت سقتها صوارم

\* \* \*

ولا كُتِبَ إلا المشرفيه عنده ولا رسل إلا الحميس العرمم

\* \* \*

فله وقت ذوب الغش ناره فلم يبق إلا صارم أو ضبارم  
تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا وفر من الأبطال من لا يصادم

\* \* \*

ردى حياض الردى يا نفس واتركي

حياض خوف الردى للشاء والنعم

إن لم أذكر على الأرماع سائلة فلا دعيت ابن أم المجد والكرم

• • •

وإنما الناس بالملوك وما يفلح عرب ملوكها عجم

• • •

لا افتخار إلا لمن لا يضام مسدك أو محارب لا ينام

• • •

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

# المراجع

## ١ - مراجع عن شوقي

كتب شوقي :

ديوان شوقي « الشوقيات » في ٤ أجزاء :

مسرحيات شعرية :

على بك الكبير أو دولة المماليك - عنبرة - قمبيز - مجنون ليلى -  
مصراع كليوباترا - ورقة الآس - أميرة الأندلس - دول العرب وعظماء  
الإسلام - شيطان بنتاءور

كتب عن شوقي :

أبي شوقي	بقلم الأستاذ حسين شوقي
شوقي الشاعر	» الدكتور محمد مندور
حافظ وشوقي	» » طه حسين
حافظ وشوقي	» الأستاذ حسين كامل الصيرفي
شاعرا العروبة شوقي وحافظ	» » عبد السميع المعري

## (تابع) مراجع عن « شوقي »

شوقي	بقلم الأستاذ أنطون الجميل
حياة شوقي	» » أحمد محفوظ
المتنبى وشوقي دراسة ونقد وموازنة	» » عباس حسين
شوقي أو صداقة أربعين عاماً	» » شكيب أرسلان
شوقي شاعر العصر الحديث	» » شوقي ضيف
العربية وشاعرها الأكبر	» » إسعاف النشاشيبي
وطنية شوقي	» » أحمد محمد الحوفي
الشعراء الثلاثة شوقي ومطران وحافظ	» » حسن السندوبي
المسرحية في شعر شوقي	» » محمود حامد شوكت
حكمة في أحمد شوقي	» » عمر فروخ
ذكرى الشعراء	» » أحمد عبيد
ذكرى شوقي	» » علي العناني
قميز في الميزان	» » عباس العقاد
الديوان	» » الأستاذين العقاد والمازني

# المراجع

## ٢ - مراجع عن المتنبي

للعكبري	التبيان في شرح الديوان
للشيخ يوسف البديعي	الصبح المنبي ، عن حيشة المتنبي
للإمام النيسابوري	يتيمة الدهر
لابن رشيق القيرواني	العمدة
لابن خلكان	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
لأبي عبيد الله القيرواني	أعلام الكلام
لابن الأثير	تاريخ الكامل
للدكتور طه حسين	مع المتنبي
» عبد الوهاب عزام	أبو الطيب المتنبي
للأستاذ عباس حسن	المتنبي وشوقي

## الفهرست

صفحة

٣	تقديم - للأستاذ ثروت عكاشة
٧	أحمد شوقي
١٢	شوقي .. والجنديّة والحرب
١٦	الأمّة بجيشها ..
١٩	الحرب .. والسلام
٢٣	دعامة الجنديّة
٢٩	القائد الجيد
٤١	مبادئ الحرب في المعركة
٤٦	حكم وأمثال حربية من شعر شوقي
٦٢	أبو الطيب المتنبي
٦٨	المتنبي .. والجنديّة والحرب
٧١	القائد الجيد
٧٨	الروح المعنوية ..
٨٢	القتال الليلي ..
٨٧	التدريب للحرب
٩٠	مبادئ الحرب
٩٤	وصف المعركة
١٠٣	حكم وأمثال حربية من شعر المتنبي

## من كتب المؤلف

أسلوب واضح البلاغة أنيق الصياغة مع قوة في العرض  
وبراعة في الأداء . جمال عبد الناصر

ولست أشك في أن القراء سيحصلون منه فائدة ويستشعرون  
أثرا حميدا كمال الدين حسين

صورة حية من البطولة العربية ، ومثلا عالية للفدائية الإسلامية  
أنور السادات

آية من آيات العزة القومية والتعجيد للجندية .

اللواء محمد شريف

ملم بمقدمات هذه الحرب وأطوارها ، وقلما اتصلت بالحرب  
مسألة إلا كان له إلمام بطرف من أطرافها .

الأستاذ عباس محمود العقاد

يسر مدير المشاة كما يسر كبار ضباط المشاة أن يكون الفائز  
الأول في مسابقة الموضوعات العسكرية : الصاغ السيد فرج

« كتاب إدارة المشاة في ١٩٥٣/٧/٤ »

إن مؤلف « الرياضة في بلادنا » الذي طلب إلينا بالأمس  
أن نكون رياضيين أصحاء يطالبنا اليوم أن نكون

عسكريين أشداء . اللواء محمد فتوح

القيادة والقادة العظام

مع العسكريين

قادة الحرب العرب

جيشنا في فلسطين

حرب الصحراء المصرية

القائد الجيد

هذه هي الحرب

## و

الدفاع عن الوطن

قاهر العالم تيمورلنك

في شمال أفريقيا

الهجوم على أوروبا

العالم بعد الهدنة

حروب محمد علي

أحاديث في الحرب

أبطال العالم في الملاكمة

الرياضة في بلادنا

## تصويب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	١٦	تفرده	محاسنه
١٢	١٤	( السطر غير موجود )	ولكن. نظرات لشوق في الهندية والحرب ؟!
١٥	٤	منها	منه
١٦	٤	ولكنها	إلا أنها
١٨	١٠	تقرءون	تقرئون
٢١	١٥	راعك	وراعك
٢٤	٥	وخلصته	والاهتمام « بالضبط والربط » ، وخلصته
٢٧	٩	حانت	حاقت
٢٣	١٣	كيف	ما
٢٨	٩	صرعه	صرع
٥٥	٨	تجارب	تجاريب
٨٢	١٥	فآتاهم	فمساهم
٨٣	١٤	العدوى	المدى
٨٨	٤	ولدعاؤها	ودعاؤها
٨٩	٤	أعناقهم	أعناقهن
٩٣	١٢	أخير	أكثر
٩٤	١٦	بالجود	بالجؤرد
٩٩	١٣	الدور الذي له	الدرّ الذي لي
٩٩	١٥	وقعت	وقد وقعت
١٠٣	٣	واقنصارا	واغتصابا
١٠٥	٦	وعادة	وعادات
١٠٥	٨	خوضه	خوض
١٠٦	١	لنطنن	الطنن
١٠٦	٧	صوارم	صوارمه